جامعة: جنوب الوادي- فرع الغردقة

كلية: التربية

محاضرات فى مقرر أدب الأطفال

الفرقة: الأولى طفولة

إعداد/

قسم اللغة العربية

٢٠٢٣م/٢٠٢٤م

بيانات المقرر

الكلية: التربية بالغردقة.

الفرقة: الأولى، والثانية.

التخصص: طفولة، وأساسي لغة عربية.

التاريخ: **٢٠٢٣**-٢٠٢٤م.

عدد الصفحات: **١٤٩** صفحة.

عدد ساعات المقرر: ساعتان.

الإعداد: قسم اللغة العربية

****

المقدمة:

من المؤكد لكل ذى بصيرةٍ أن مرحلة الطفولة تعتبر من أهم المراحل التي تكون سببًا واضحًا في التطوير الاجتماعي، نعم، والتي يمكن من خلالها تكون الهوية الاجتماعية، وعادة تبدأ هذه المرحلة من ولادة الطفل وحتى مرحلة البلوغ، وتتمثل في بعض المراحل التي تختلف حسب العمر الزمنى للطفل، وكل واحدة من هذه المراحل لها مميزات مختلفة، ويجب أن يكون الآباء على فهم بهذه المرحلة بشكل أكبر، حتى يمكن من خلالها تأدية حقوق الطفل وواجباته داخل العائلة، فهذا يؤدى إلى نتيجة أفضل.

والذى لا شك فيه أن أهمية أدب الأطفال تتضح في اعتباره وسيلة وأداة، تساعد فى النهوض بالمجتمع كله من خلال النهوض بأطفاله الصغار، والمساعدة على تنشئتهم التنشئة السوية؛ لذلك فأشكاله المختلفة تخضع دومًا للدراسات النفسية والتربوية فى محاولة لتقويمها والاستفادة منها بأقصى درجة، ولم تعد قاصرة على الحكيٍ والتلقين للقيم الأخلاقية والاجتماعية، بل أصبحت توظف بشكل أكثر تقدمًا وبأسلوب أكثر فنية، كل ذلك من أجل الأطفال، وانتشرت أشكاله لتفيد المراحل العمرية كافة حتى مراحل المهد، وما قبل المدرسة.

ولأدب الأطفال أهمية كبيرة فى حياتهم، فالأدب متعة، وتسلية، ومعرفة، وثقافة، وتخيل، والأدب بصفة عامة يساعد فى إدراك المعانى والأخيلة، التى يشتمل عليها فيما يصوره من العواطف البشرية والظواهر الطبيعية والاجتماعية والسياسية، والتمتع بما فيه من جمال الفكرة والأسلوب والغرض،...

وما بين يديك عزيزى الطالب مقرر: أدب الأطفال "الجزء الأدبى فقط"، وذلك غير الجزء التربوى، وقد بُذل فيه جهدٌ وفير؛ ليكون شاملا لكل

مجالاته، ولو كان ذلك –أحيانًا– في نُبذة مختصرة تلقى الضوء فقط، وعليك أنت إتمام البحث، فأنت لم تعد صغيرًا، ونرجو لك أن تكون باحثًا جيدًا، وقد تم الاعتماد في هذا المقرر على عدة مصادر ومراجع، ستجدها في نهاية الكتاب؛ إن احتجت إلى مراجعة معلومة ما...

وفقكم الله وسدد خطاكم

الفصل الأول
حول أدب الأطفال

المبحث الأول
مقدمة عن أدب الأطفال

أولا: التعريف

أدب الأطفال نوع من الفن الأدبي الذي يشمل القصص والكتب والمجلات والقصائد المؤلفة بشكل خاص للأطفال، ويتم تصنيف أدب الأطفال الحديث بطريقتين مختلفتين: حسب الفئة أو العمر المقصود لقارئ هذا الأدب.

ويعود أصل أدب الأطفال إلى القصص والأغاني، وقبل وجود الطباعة حين كان الآباء ينقُلون القصص والأغاني إلى أبنائهم شفويًا، كان من الصعب تتبع أثر أصل أدب الأطفال قبل اختراع الطباعة، وحتى بعد انتشار الكتب المطبوعة الكثير من قصص الأطفال، كانت مُصممة للكبار وتم تحويلها لاحقًا إلى كتب للأطفال، وفي القرن الخامس عشر أصبح أدب الأطفال يحمل رسالة أخلاقية أو دينية، وعُرف في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين باسم: «العصر الذهبي لأدب الأطفال»؛ لأن العديد من كتب الأطفال الكلاسيكية قد نُشرت آنذاك.

والحق أنه لا يوجد تعريف واحد أو مشهور لأدب الأطفال، ويمكن تعريفه على نطاق واسع على أنه: مجموعة من الأعمال المكتوبة والرسوم التوضيحية بهدف الترفيه أو إرشاد الشباب، ويشمل كلاسيكيات الأدب العالمي المعترف بها، والكتب المصورة والقصص سهلة القراءة المكتوبة من أجل الأطفال، والحكايات الخيالية، والتهويدات، والخرافات، والأغاني الشعبية، وغيرها من المواد المنقولة شفهيًا بشكل أساسي، ويُعرف بشكل أكثر تحديدًا على أنه خيال أو غير خيالي أو شعر أو دراما مخصصة للأطفال والشباب،

وقد عرفه أحد مؤلفي أدب الأطفال بأنه: «جميع الكتب المكتوبة للأطفال، باستثناء الأعمال المصورة مثل: كتب الرسوم الهزلية، والكتب المزيفة، والأعمال غير الخيالية التي لا يُراد قراءتها من الأمام إلى الخلف، مثل: القواميس والموسوعات وغيرها من المواد المرجعية» ومع ذلك، قد يجادل آخرون بأن الكوميديا يجب أن تدرج أيضًا: «أن دراسات أدب الأطفال اعتبرت كتب الكوميديا المصورة سطحية وغير مهمة على الرغم من أهمية الكوميديا كظاهرة عالمية مرتبطة بالأطفال»

وتشير الموسوعة الدولية لأدب الأطفال المصاحب إلى أن «فئات أو أنواع الكتب ليست ثابتة بل غير واضحة» وفي بعض الأحيان لا يمكن التوصل إلى اتفاق حول ما إذا كان من الأفضل تصنيف عمل معين كأدب للبالغين أو الأطفال.

فبعض الأعمال لا يمكن تصنيفها بسهولة، فقد مكتوبة للشباب، ولكنها تحظي بشعبية كبيرة من قبل البالغين أيضًا، وعلى الرغم من الارتباط الواسع لأدب الأطفال بالكتب المصورة، لكن يعود أصل أدب الأطفال إلى الروايات المنطوقة شفويًا من قِبل الرواة قديمًا.

ثانياً: النشأة

تألف قديمًا أدب الأطفال من القصص والأغاني والقصائد المنطوقة التي استخدمت لتعليم الأطفال وتعليمهم وترفيههم، وفي القرن الثامن عشر، ومع تطور مفهوم الطفولة، بدأ ظهور نوع منفصل من أدب الأطفال، مع أقسامه وتوقعاته وشرائعه، وأقدم هذه الكتب كانت كتبًا تعليمية تتحدث عن السلوك والحروف الأبجدية، وغالبًا ما تتزين بالحيوانات والنباتات والحروف المجسمة، وقد جادل المؤرخ الفرنسي فيليب أريز عام ١٩٦٢ في كتابه قرون الطفولة بأن المفهوم الحديث للطفولة لم يظهر إلا في الآونة الأخيرة، ويوضح أن الأطفال كانوا في الماضي لا يعتبرون مختلفين كثيرًا عن البالغين

ولم يتلقوا معاملة مختلفة بشكل كبير، وكدليل على هذا الموقف، يلاحظ أنه بالإضافة إلى النصوص التعليمية والتربوية للأطفال الذين كتبهم رجال دين مثل: بيدا وألفريك من أينشام، فقد كان هناك نقص كبير في أدب الأطفال قبل القرن الثامن عشر.

وقام علماء آخرون بدعم وجهة النظر هذه من خلال الإشارة إلى أن هناك أدبًا مصممًا لنقل القيم والمواقف والمعلومات اللازمة للأطفال داخل ثقافاتهم، مثل: مسرحية دانيال من القرن الثاني عشر، وأن أدب الأطفال قديمًا كان ذو طابع تعليمي وأخلاقي، بغرض توصيل الدروس المتعلقة بالسلوك والتعليم والدين.

أول القصص المكتوبة التى عرفتها البشرية فهي القصص المكتوبة على الورق البردي، وبقيت القصص عبارة عن حكايات وأساطير إلى جاء الإسلام حيث ظهرت القصص الدينية المتمثلة بأخبار الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأعماله وأخبار المسلمين والغزوات والانتصارات، وقصص الأنبياء وقصص الأمم والشعوب التى وردت في القرآن الكريم كما أدت الفتوحات الإسلامية إلى دخول قصص كثيرة من الشعوب والأمم غير العربية مثل الفارسية والرومانية واليونانية والهندية والأسبانية، و كان معظمها أساطير وخرافات وقصص حيوانات، ثم بدأت الترجمة فترجم كتاب كليلة ودمنة وكتاب ألف ليلة وليلة مع إضافات جديدة تابعة من الخيال العربي، مثل: قصة حي بن يقظان وقصة سيف بن ذي يزن وقصة عنترة بن شداد، وعندما بدأ العرب يكتبون قصصهم وأخبارهم في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي دونوا وكتبوا كل شئ مما جعلها من أغنى مصادر أدب الأطفال العربي.

أ. في أوروبا:

وخلال القرن السابع عشر، بدأ مفهوم الطفولة في الظهور في أوروبا، ورأى الكبار الأطفال ككائنات منفصلة بريئة ويحتاجون إلى الحماية والتدريب من قِبل البالغين من حولهم، وقام البروفيسور الإنجليزي جون لوك بالتحدث عن نظرية "الصفحة البيضاء" في كتابه مقالة حول التفاهم الإنساني في عام ١٦٩٠، ففي نظرية الصفحة البيضاء قال جون لوك: إن الإنسان عند ولادته يكون عقله كصفحة فارغة ولا يوجد لديه قواعد لاستيعاب المعلومات، وأن تلك القواعد والمعلومات تبدأ بالتجمع من خلال تجربة الطفل الحسية، وتوصل جون لوك من خلال فلسفته إلى أن من واجب الوالدين أن يعلموا طفلهم المفاهيم الصحيحة، وأكد لوك على أهمية تزويد الأطفال بكتب ممتعة من أجل تطوير عقولهم بدلًا من استخدام القوة لتعليمهم وقال أيضًا: «أن الأطفال قد يجبروا على تعلم الحروف، والقراءة ظنًا منهم أنها رياضة وبهذا يصبح الأطفال خاضعين لكلام غيرهم»، ولذلك اقترح أيضًا إنشاء كتب مصورة للأطفال، ونُشرت في بريطانيا كتب "تشابوك"، وهي كتب صغيرة بحجم الجيب تم طيها في الغالب بدلًا من أن تُخيط طباعتها بالخشب، وهذه الكتيبات غير المكلفة أعادت طبع القصص الشعبية والقصص التاريخية، والحكايات الشعبية، على الرغم من عدم نشرها خصيصًا للأطفال فقد استمتع الشباب بالكتيبات أيضًا، ويقول يوهانا برادلي، في كتابه "فروم تشابلز تو بلوم كيك" أن كُتب تشابوك منعت القصص الخيالية من الاندثار بسبب الحكم البيوريتاني الشديد والصارم.

وأصبحت "حكاية الحكايات" عام ١٦٤٣ في إيطاليا أول مجموعة منشورة رئيسية للحكايات الشعبية الأوروبية، وبدأ تشارلز بيرولت بتدوين الحكايات الخيالية في فرنسا، ونشر مجموعته الأولى في عام ١٦٩٧، لم يتم استقبالهم جيدًا في أوساط المجتمع الأدبي الفرنسي، الذي رأى أنها مناسبة فقط للمسنين والأطفال، في عام ١٦٥٨، نشر جان آموس كومينيوس في

بوهيميا كتاب "اوربس بكتوس" الذي أرفق به صور للأطفال تحت سن السادسة الذين يودون تعلم القراءة، وتم اعتباره أول كتاب مزود بالصور من أجل الأطفال.

ويُعد أول كتاب دنماركي للأطفال هو: "مرآة الطفل" للكاتب نيلز بريدال في عام ١٥٦٨، والتي كتبها للتكيف مع كتاب مجاملة للكاتب الهولندي إيراسموس، وأصبح كتاب "المرأة العذراء الجميلة" أول كتاب أطفال سويدي ونُشر عام ١٥٩١ والذي هو مقتبس من كتاب ألماني للسيدات، ونشرت السويد مجلة للأطفال بحلول عام ١٧٦٦، وكان المحور الذي يرتكز عليه أدب الأطفال قديما هو الأساطير التى بنيت عليها القصص التى كانت تروى شفويا وبعد ذلك تقدمت القصص لتصبح لها تأثير على الجماعة مثل الولاء للقبيلة والحفاظ على التقاليد وكان الهدف هو غرس السلوك في نفوس الأطفال.

وشهدتْ فرنسا أيضًا نشأة أدب الأطفال في العصر الحديث، وذلك في القرن السابع عشر، وكان الكاتب لا يكتب اسمه خشية الحط من قدره أمام الناس، إلى أن جاء الشاعر الفرنسي تشارلزبيرو وكتب قصصا للأطفال بعنوان حكايات أمي الإوزة، وكتب له اسما مستعارا، لكنه لا حظ الإقبال الشديد على قصصه، فألف مجموعة أخرى بعنوان أقاصيص وحكايات الماضى وكتب اسمه واضحا، وبعد تشارلز بيرو جاءت محاولات كتابية للأطفال من سيدة فرنسية اسمها لبرتس ومن قصصها مخزن الأطفال وظهرت كتابة أدب الأطفال بشكل جديد في فرنسا في القرن الثامن عشر وذلك بظهور جان جاك روسو، وكتابه أميل الذي اهتم بدراسة الطفل كإنسان قائم بذاته وشخصيته المستقلة، وبعد ذلك تمت ترجمت قصص ألف ليلة وليلة إلى اللغة الفرنسية، وبعد ذلك أيضا صدرت أول صحيفة للأطفال في العالم باسم صديق الأطفال.

وظهر كتاب الأطفال الحديث في منتصف القرن الثامن عشر، في إنجلترا مع تزايد أعداد الطبقة الوسطى مجتمعةً مع نظريات جون لوك عن براءة الطفولة ساهم ذلك بدراسة مفهوم الطفولة. يعد كتاب "الجيب الصغير الجميل"، الذي كتبه ونشره جون نيوبري، على نطاق واسع أول كتاب حديث للأطفال نُشر في عام ١٧٤٤، ويُعد حدثًا مهمًا كأول عمل أدبي للأطفال بهدف المتعة، فاحتوى على مزيج من القوافي والقصص المصورة والألعاب للمتعة، وكان نيوبيري يؤمن بأهمية تعليم الطفل السلوك الصحيح بدلًا من التأديب البدني فكأن الطفل يراقب سلوكه بنفسه يوميًا، وكان الكتاب بحجم مناسب للطفل مع غطاء ذو ألوان زاهية والتي بدورها تجذب الأطفال لاحقًا أصبحت تعرف بكتب الهدايا)، ووفقًا لمجلة "ذا ليون اند ذا يونيكورن" كان نيوبيري عبقريًا في تطوير كتب الأطفال، من خلال إعلاناته المتكررة، وحيلته شديدة الذكاء والفطنة، والمتمثلة في إدخال عناوين ومنتجات إضافية في نصوص كتب أطفاله.

وأصبح نيوبري من أفضل كُتاب أدب الأطفال بسبب تحسينه لنوعية كتب الأطفال بالإضافة إلى تنوع موضوعاته، فقد نشر كتب عديده له بالإضافة لكاتبين آخرين هما ساموبل جونسون وأوليفر جولد سميث، وكان أشهر كتاب له "جودي الصغيرة والحذاء"، وألهم الفيلسوف جان جاك روسو العديد من كُتاب أدب الأطفال، وجادل قائلًا على الأطفال أن يكبروا في بيئة طبيعية وسعيدة فقامت فكرته حول جذب الطفل من خلال اهتماماته الخاصة، ألهمت فكرته كُتاب أدب الأطفال ومثال على الأعمال المشهورة كانت كتاب توماس داي "تاريخ ستانفورد وميرتون"، والذي احتوى أربع مجلدات تنافس نظرية روسو.

بالإضافة إلى ماريا ايدجوورث وريتشارد لوفيل ايدغورث في كتابه "التعليم العملي: تاريخ هاري ولوسي" في عام ١٧٨٠، والذي حث الأطفال

على التعلم الذاتي، وحظيت أفكار روسو بشهرة واسعة في ألمانيا، وخاصة في الحركة الألمانية الخيرية الإصلاحية، وهي حركة تهتم بإصلاح التعليم والأدب لجعله ملائمًا للأطفال وكان مؤسس هذه الحركة هو جوان بيرنارد بايسدو والذي كتب كتاب "ايليمنت ورك" فأصبح من أشهر كُتاب الأطفال، واستعان بدانييل تشودوويكي الذي كان تابع لنفس الحركة بأن يضيف رسومات لكتابه، ومن التابعيين أيضًا للحركة كان الكاتب جوتشام هينريك كامب الذي كتب كتاب مستوحى من قصة "روبنسن كروزو" والتي بيعت منها أكثر من مئة طبعة وأصبح بذلك أفضل كاتب حديث في أدب الأطفال ووفقًا لهانز هينو يورس في الموسوعة المشاركة لأدب الأطفال «أن تاريخ أدب الأطفال كُتب معظمه في ألمانيا ولكن تُعبر هذه نقطة جدال ليومنا هذ»

ب- في مصر والبلاد العربية

بدأ ظهور أدب الأطفال حديثا في البلاد العربية في زمن محمد علي باشا في مصر عن طريق الترجمة، وكان أول من ترجم كتابا للأطفال عن الإنجليزية هو الشيخ: رفاعة رافع الطهطاوي، وكان مسؤولا عن التعليم، ثم أخذ بترجمة قصص وحكايات كثيرة عن الغربية، فترجم قصصا ترعى حكايات الأطفال ثم أدخل قراءات القصص في المناهج المدرسية.

وقد طلب رفاعة الطهطاوي في خطابٍ له إلى وكيل الحكومة المصرية في ١٦ ربيع الثاني عام ١٢٤٣هـ بأن: "يرسل كتبا مطبوعة ومؤلفة للصغار والتلاميذ بحيث تميل أذهانهم إليها"، ولكن الخطوة الكبيرة في كتابة أدب الأطفال في العالم العربي الحديث كانت على يد الشاعر المبدع أحمد شوقي؛ لأنه كان أول من ألف أدبا للأطفال باللغة العربية، واستفاد فيما كتبه للأطفال من قراءاته في الفرنسية ولا سيما حكايات لافونتين الشهيرة، ولقد كتب أكثر من خمسين قصة شعرية للأطفال، ونظم أكثر من عشرة أناشيد أو

أغنيات، اتسمت كلها بسهولة الأسلوب وتسلسل الأحداث ووضوح الهدف التربوي إلى جانب التسلية والترفيه.

وكان أحمد شوقي يدرك بذلك أن أدب الأطفال أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية لذلك أعطى الأطفال من خلال قصصه الشعرية وأناشيد صورة واضحة لمجتمعهم الذي يعيشون فيه ولمشكلات حياتهم التى سيواجهونها، واستخدم قصص الحيوانات؛ لما فيها من التشويق والمتعة مع الحكمة والفائدة وحرص أيضا على تنمية إحساسهم بجمال الكلمة وقوة تأثيرها، كان على وعي بما يكتب، لذلك كان يبتعد عن التعقيد والفلسفة، ويجعل كتابته قريبة المتناول من الأطفال، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم، لأنه كان يتمثل الصغار الذين يكتب لهم أمام عينيه، فضلا عما عرف عنه من حب الكبير لأولاده وأحفاده.

وفي الحقيقة فإن شوقي يعد بحق رائد أدب الأطفال في العصر الحديث أخذ من الغرب الخصائص الفنية والأسس والقواعد العامة، لكنه ابتكر مما قرأ من التراث ومما عرف من التجربة الشخصية موضوعات كثيرة، ولم يستطع أحد أن يكمل ما بدأه شوقي في أول الأمر وخمد الاهتمام بأدب الأطفال بعد شوقي وإن كانت هناك بعض الإسهامات التى جاءت في هذا السبيل، فلقد عمد محمد عثمان جلال إلى ترجمة كثيرة من حكايات لافونتين في كتابه العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ بأسلوب شعري مزدوج القافية، ولم يتقيد في ترجمته بالأصل، وإنما حاول إضفاء الطابع المصري على ترجماته وأن يكتبها على شكل الزجل وبعده ألف إبراهيم العرب كتاب خرافات على لسان الحيوان أسماه آداب العرب وقلد فيه لافونتين.

وفي عام ١٩١٤م ترجم أمين خيرت الغندور مجموعة قصص كنوز سليمان للكاتب الإنجليزي راندها جرد و قررته وزارة المعارف على طلبة المدراس.

وفي عام ١٩٠٣م كتب علي فكري كتاب مسامرات البنات وفيه كثير من الأدب المتخصص للأطفال عامة، وللبنات خاصة، ثم كتب في عام ١٩١٦م كتاب النصيح المبين في محفوظات البنين وضمنه كثيرا من الحكم النثرية والنظمية وبعض الأناشيد له ولعدد من الشعراء و الكتاب كشوقي والرافعى واليازجي، ولكن الخطوة الكبيرة في مسيرة أدب الأطفال في هذا العصر بدأت في العقد الثالث من هذا العصر، عندما ظهر اثنان من الرواد لهذا الأدب وهما محمد الهراوى (١٨٨٥ – ١٩٣٩ م) وكامل الكيلاني (١٨٩٧ – ١٩٥٩م).

وعندما بدأ الهراوى بالكتابة للأطفال كان يعلم أن مناخ الأدب والثقافة عامة. ولذلك أصبح موضع سخرية من بعض الأدباء، ولكنه مضى قدما في طريقه لتربية نابتة الجيل وتوجيههم وجهة طيبة صالحة، وأول ما كتبه الهراوى للأطفال منظومات قصصية بعنوان سمير الأطفال للبنين عام ١٩٢٢م، ثم سمير الأطفال للبنات عام ١٩٢٤م في ثلاثة أجزاء، ثم أغاني الأطفال في أربعة أجزاء، وكتب قصصا نثرية كثيرة، وواضح فيما كتبه بروز الهدف وسهولة العبارة، ووضوح المعنى وجمال الأسلوب. يقول في إحدى صوره الشعرية عن التلميذ، ثم جاء كامل الكيلاني الذي يعده أكثر الباحثين الأب الشرعي لأدب الأطفال في اللغة العربية وزعيم مدرسة الكاتبين للناشئة في البلاد العربية كلها.

يقول عنه عبد التواب يوسف وهو كاتب مشهور من كتاب أدب الطفل: وأشهد أنه رائد ورائع بكل المقاييس، وأنه صاحب منهج فيما قدم، ولم يعتمد على أدب الغرب فحسب، بل إن أعماله العربية تشهد له بالوعي، كما

كان له فضل السبق في تقديم أعمال أفريقية وهندية لأطفالنا جنبا إلى جنب جاليفر وروبنسون كروزو، واهتم الكيلاني بتحبيب اللغة العربية للأطفال، وكان يتدرج في الكتابة حسب سنوات العمر، ويحاول إيقاظ مواهبهم واستعداداتهم ويقوي ميولهم وطموحهم وينتهي بهم إلى حب القراءة والمثابرة عليها.

وترك سلاسل كثيرة فظهرت (مكتبة الطفل) بأكثر من مائتي قصة، وأخذ من التراث العربي والإسلامي، ومن الثقافات الأخرى الغربية والشرقية، وكتب في السيرة النبوية، مجموعة من حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وكان يدرك أن الطفل يحتاج لعقله ومشاعره إلى شتى الطعوم – كما يحتاج جسده لأنواع الفيتامينات – فكتب لتغذية العقول والتفكير ولتنشيط الخيال، ولتربية الوجدان والمشاعر، ولتهذيب النفوس، ولإمتاع الصغار، واهتم بشكل الكلمات واختيار الألفاظ لتزويد الأطفال بثروة لغوية، وتدرج بهم ليصلهم بتراثهم، وكان يسير على منوال المثل الأسباني في قصة حي بن يقظان الذي يقول: بأن إمراة أسبانية كانت تحمل عجلا صغيرا كل يوم وتصعد به السلم وتهبط، وكبر العجل حتى صار ثورا و هي على عادتها، تحمله كل يوم دون أن تتأثر لأنها لم تحس بالزيادة الطفيفة التى كانت تزيد كل يوم للعجل، ولذلك كان يحرص على أن تكون اللغة التى يكتب فيها للطفل أرقى من مستواه قليلا حتى يستفيد بمحاكاتها.

ثم ظهر عدد من الكتاب منهم حامد القصبي الذي كتب في عام (١٩٢٩م) التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل وهي قصص مترجمة مع شئ من التصرف وكان هدفه تربويا لذلك وزعتها وزارة المعارف في مدارسها آنذاك، ثم اتسع الاهتمام بهذا الأدب وشارك فيه كثير من الأدباء والشعراء والقصاص مثل الشاعر محمود أبو الوفا وعبد الرحيم الساعاتي والقصاص عبد الحميد جودة السحار وعطية الإبراشي ومحمد أحمد برانق

وعبد اللطيف عاشور ومحمد سليم وعطية زهري وأحمد مختار البزرة وإبراهيم عزور ووصفي آل وصفي وأحمد نجيب وأحمد بهجب ونبيلة راشد وجمال أبو رية وإبراهيم شعراوي ونادر أبو الفتوح وغيرهم.

ثالثاً: الفرق بين أدب الأطفال وأدب الكبار

طفل ما قبل المدرسة محب للأدب، يحبه شفاها، ومرسوما، ومرويا، عليه، أو مقروءا، وهو يستمتع به، ويتلقاه في فرحة وبهجة، ليثري وجدانه، ويوسع خياله، ويثري لغته، ويزيد معارفه بالناس والدنيا من حوله، كما أن أدب الكبار في معظمه أدب على الورق، يقرأ كثيراً ويسمع قليلاً ويشاهد أحياناً، أما أدب الأطفال فليس أدب ورق، بل مشاهدة بصرية قراءة، أو فرجة، وتتلقاه الأذن كثيراً، وهو في كل الأحوال مرتبط من حيث علاقته بمتلقين، وبالمرحلة الزمنية، وبعمر هذا المتلقي، ففي المرحلة الأولى تكون المشافهة والاستماع أكثر قبولاً وتأثيراً، وفي المراحل المتوسطة ما بين طفولة المهد وطفولة الشباب تكون القراءة ممزوجة بالرؤية والمشاهدة من أفضل وسائل نقل أدب الطفل، أما في مراحل ما بعد سن التاسعة فإن القراءة ، ثم المشاهدة من أقوى قنوات التأثير بأدب الطفل، والتعامل معه، لهذا كله كان أدب الطفل متميزاً بخصائص وصفات وسمات تجعله أقرب إلى أدب نوعي متميز بمذاقه الخاص.

رابعاً: خصائص أدب الأطفال وعلاقتها بالمراحل العمرية:

لم يتفق علماء النفس على تقسيمات موحدة لمراحل نمو الطفل، كما لم يتفقوا على بدايات هذه المراحل ونهايتها، فمراحل النمو المختلفة للطفل تتداخل زمنياً، وتختلف ما بين الذكور والإناث، كما تختلف باختلاف المناطق الجغرافية والشعوب والمجتمعات، والتطور الحضاري، والتقدم العلمي، وغيرها من المؤثرات، ولذلك فإن مراحل الطفولة هي مراحل تقديرية،

وليست حاسمة باتة؛ لذا نرى ضرورة التعرف على مراحل النمو عند الأطفال وخصائصها المختلفة من وجهة النظر الأدبية، كمؤشرات على قدر كبير من الفائدة في مجالات الكتابة للأطفال.

ويمكن أن نوجز الإشارة إلى هذه المراحل فيما يلي:

١- مرحلة الطفولة المبكرة، أو مرحلة الواقعية، والخيال المحدود، من سن (٣-٥) سنوات.

٢- مرحلة الطفولة المتوسطة، أو مرحلة الخيال الحر، من سن (٦-٨) سنوات.

٣- مرحلة الطفولة المتأخرة، أو مرحلة المغامرة والبطولة، من سن (٩-١٢) سنة.

٤- مرحلة اليقظة الجنسية، من سن(١٣-١٨) سنة.

٥- مرحلة المثل العليا، من سن (١٨) سنة فما فوق.

وسوف نقتصر في هذا الجزء على المرحلة الأولى، مرحلة الواقعية والخيال المحدود، من سن (٣-٥) سنوات، والتي تتسم ببعض الخصائص العامة، والتي في ضوئها يمكن تحديد المادة الأدبية التي تناسب الطفل، ويمكن إيجاز أهم خصائص أدب الطفل والتي تتواءم مع المرحلة العمرية للطفل فيما يلي:

١- أدب الطفل (قصة أو شعر أو مسرح أو أغنية أو أنشودة) بسيط في صوره وأخيلته ومفرداته

٢- يعتبر الخيال المناسب لتلك المراحل هو الذي يوشِّي الأدب بما يبهر، ويشد الطفل.

٣- الصور الفنية دائماً يستمدها المبدع من رؤاه، فهي غالباً بصرية، وأحياناً يستمدها من ذاكرته، فهي لذلك سمعية، لكن الغالب هو أن

صور الأدب المقدمة للطفل مشتقة من القوى البصرية، لتلائم أحوال الطفولة.

٤- قدرة مبدع أدب الطفل على الاندماج في الوجود والإحلال فيه، وتمكين الطفل من معايشة هذا العالم.

٥- الاعتماد على الحدوتة والحكاية والقصة في كثير من الأعمال المسرحية ليثير القدرة على الانفعال، ويجلو عن شفافية الفطرة، ويربط الطفل بمساحات فطرية سليمة، فتحقق بذلك سياقاً مسرحياً مفيداً، وتخلق نسقاً للفرجة، يجمع بين التوجيه والإرشاد والإبهار، معتمداً على خصائص الطفولة نفسها.

خامساً: أشكال أدب الأطفال وأنواعه:

هو الأدب الذي يخصص للصغار في سنّ ماقبل المدرسة إلى سنّ المراهقة والبلوغ، فيفيدهم بما يتيحه لهم من عالم ساحر يقدم المعلومة في قالب من الإمتاع، وقد كان الكبار، ومايزالون يحكون للصغار ضُروبًا من الحكايات المسلية، ومن هذه الحكايات نشأ لونٌ من الأدب يتوجه إلى عالم الصغار بصفة خاصة بما يقدمه لهم من المعرفة والأخبار في قالب المتعة والإثارة التي تستمد روعتها من عالم الصغار بما فيه من براءة وروعة وصدق.

وأدب الأطفال يهيئ عالمًا شائقًا من المتعة والترفيه والمعلومات للأطفال، وتمثل الكتب المصورة في هذه الصفحة والصفحات التالية تشكيلة غنية من الأعمال المتاحة للقراء الصغار في الدول العربية المختلفة، وقد اكتسبت بعض الأعمال التي كتبت للكبار رواجًا في عالم الصغار وأصبح قراؤها من الأطفال ينافسون الكبار في الإقبال عليها من أجل الإفادة والمتعة، ومن أشهر هذه الأعمال: روبنسون كروزو ورحلات جليفر وحكايات جريم الخرافية وألف ليلة وليلة، وفي كتاب الله وصية لقمان لابنه، وفي السنة

توجيهات رفيعة خاطب بها النبي –صلى الله عليه وسلم– الأطفال مثل وصيته لابن عباس –رضي الله عنهما– وكان غلامًا، ولم يُفْرِد الأدبُ العربي القديم للأطفال إنتاجًا أدبيًا مخصّصًا لهم أو موجهًا إليهم، لكنه جعل الأطفال موضوعًا لبعض الأعمال الأدبية، ولعل أبرز الأشكال الأدبية التي اتخذت الأطفال موضوعًا لها كانت القصيدة الشعرية، وكان أهم غرض شعري في هذا الصَّدَد هو رثاء الأبناء، وخاصة الأطفال منهم، كما نجد غرضًا آخر يرد في بعض الأبيات الشعرية يُنَوِّهُ بإيثار الأطفال ويصف محبتهم والشعور بالمسؤولية نحوهم.

أما في النثر فسنجد أشكالاً من النصائح والوصايا التربوية المتعلّقة بتعليم الأولاد وتهذيبهم، وخاصة الموجهة إلى مُؤدّبي الأولاد ومربيهم، غير أننا نجد إشارات في مصادر التراث العربي القديمة يرد فيها ذكر لبعض الممارسات والمعتقدات المتعلّقة بالأطفال، كما نجد مدونات لبعض الأناشيد والأغاني التي كانت تُرَدَّد بقصد مداعبتهم وهَدْهَدَتهم عند النوم، ويبدو أن هذه الإشارات والنصوص كانت صورًا من المأثور الشعبي العربي القديم، أو على الأقل فيها نَفَس منه، وقد جمع أحمد عيسى (ت ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦م) طائفة من المقطوعات الشعرية التي كانت الأمهات يرقّصن بها أطفالهن باسم الترقيص أو الغناء للأطفال عند العرب، وهو مطبوع.

وقد كان الأطفال يرددون في ألعابهم بعض الأراجيز، وللمؤلف نفسه كتاب ألعاب الصبيان عند العرب وهو أيضًا مطبوع. وجمع أيضًا أحمد أبو السعد طائفة أخرى من المقطوعات الشعرية في كتابه أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، وما ذكرناه يعد الصورة الأولى لأدب الأطفال عند العرب، ولعل أبا الحجاج البلوي الأندلسي يوسف بن محمد، (ت ٦٠٤هـ) من أعلام القرن السادس الهجري، وهو عالم ومجاهد وأديب وأول من فكر في تخصيص عمل أدبي وتعليمي للأطفال، فقد رزقه الله على كِبَرٍ ولدًا؛ فهو يقول في

مقدمة كتابه ألف باء "وجعلت ما أُؤَلّف فيه وأبني لعبدالرحيم ابني"، ثم ينشد:
هذا كتاب ألف با صنعته يا أَلِبّا من أجل نجلي المرجَّى إذا شدا أن يُلِبَّا.

إلا أن محاولته جاءت على مستوى عال لا يناسب الصغار ولكن البادرة أو الفكرة في ذاتها رائدة وطريفة، وهذا ينبّهنا إلى أن فحصًا دقيقًا لمصادر التراث العربي القديم، وصنوه المأثور الشعبي العربي، قد يكشف عن وجود نصوص وافرة تصلح أن تكون مادة لأدب مُوجّه للأطفال، ففضلاً عن كتب مشهورة في هذا الصدد مثل كليلة ودمنة؛ والغواص والأسد؛ فإن الكتب التي تتضمن قصص الأخبار والمغازي والأسفار، مثل كتاب مختصر العجائب والغرائب المنسوب للمسعودي، تحفل بمادة ثرية يُمكن إعدادها لمطالعات الأطفال، أو استلهامها في إنتاج جديد مُوجَّه للأطفال.

ومنذ النهضة العربية الحديثة، حدث تَحَوُّل في الأدب العربي الحديث، وكان من بين تحوُّلاته الجديدة الالتفات إلى الأطفال والكتابة فيما يتصل بتنشئتهم وتثقيفهم. وقد ظهر هذا الالتفات في كتابات الروّاد من أمثال رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك، وتوالت الكتابات منذ ذلك الحين وهي تُعنى بتخصيص جانب من نتاجها للأطفال واليافعين، ولهذا لم يكن غريبًا في هذا المناخ أن يُفْرد شاعر كبير مثل أحمد شوقي عددًا من قصائده يوجهها للأطفال يراعي فيها مستواهم الإدراكي وحصيلتهم اللغوية ونوعية التشويق الذي يجذب مرحلتهم العُمْريّة. كما نجد شاعرًا آخر معاصرًا له، هو محمد الهراوي، يكاد يتخصص في التأليف الشعري للأطفال.

وفي الأشكال النثرية، وخاصة القصصي منها نجد عددًا من الكُتَّاب يتخصصون في الكتابة للأطفال، وقد راد هذا المجال كامل الكيلاني الذي أنتج حوالي مائتي قصة ومسرحية للأطفال، بل أسس أولاده دارًا لنشر كتب الأطفال، وقد أغنى محمد عطية الأبراشي مكتبة الطفل بمجموعة من القصص، وكتب غيرهم في البلاد العربية الأخرى قصصًا ومسرحيات تتوجه

إلى الأطفال في المقام الأول، ثم بدأ أدب الأطفال يتجه إلى التراث فنجد بعضًا من نوادر جحا وشيئًا من قصص السِّندباد ثم انفتح على قصص المغامرات والألغاز التي فتن بها الصغار كثيرًا.

وقد أثمرت هذه الجهود المتوالية في العناية بالأدب المكتوب للأطفال، الأمر الذي جعل الهيئات الرسمية والجمعيات الأهلية تنشط لرعاية الطفولة والعناية بتنشئة الأطفال، ولم يعد الأمر قاصرًا على إصدار كتب الأطفال فحسب، بل جرى العمل على إنشاء المراكز والمعاهد والإدارات المختصة، وقد تتابع إصدار مجلات ودوريات خاصة بالأطفال، في معظم البلاد العربية ومن أهمها حكايات حارثة ومجلات سِمْسِمْ وسمير، وميكي، وعلاء الدين، وماجد، وباسم، وأحمد، والشبل وغيرها. بل قد تم تخصيص جانب من الجوائز الرفيعة لتُمنح للمبدعين في أدب الأطفال والكتابة للطفل، كما فعلت جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٤١١هـ، ١٩٩١م عندما منحت جائزتها للكُتَّاب الثلاثة أحمد محمود نجيب وعبد التواب يوسف أحمد وعلي عبدالقادر الصِّقِلّي، وظهرت أقلام جديدة أَغنت الكتابة للطفل وجددتها مثل: محمد موفق سليمة، والمنسي قنديل، وأحمد الشيخ، وجار النبي الحلو، وأحمد سويلم وغيرهم.

وقد أفضى كل هذا العمل المُطَّرد إلى نَقْلَة نوعية في هذا المجال؛ فقد اتسع الاهتمام من مجرد تأليف الكتب للأطفال إلى العناية بثقافة الطفل بمعناها الواسع الشامل، ولهذا أُدخلت كل وسائط بثّ الثقافة وتوصيلها في مجال الاهتمام؛ كالمسرح، بما في ذلك المسرح الغنائي ومسرح الدُّمى والقُفّازات، والسينما، والتلفاز، والفيديو، والكاسيت، وما إلى ذلك من الوسائط المستحدثة، وبهذا تكاملت العلاقة بين الإنتاج الأدبي للأطفال وسائر فنون التعبير الثقافي الأخرى، وإذا ذكرنا أدب الأطفال في العربية فيجب أن لا

ننسى الأساتذة: علي الطنطاوي، سعيد العريان، أمين دويدار، محمود زهران، عبدالرحمن رأفت علوان، محمد أحمد برانق.

سادساً: أهمية أدب الأطفال وأهدافه:

للأدب الموجه للطفل أهمية بالنسبة إلى الأطفال ذاتهم، وبالنسبة إلى المجتمع، ويمكن تحديد هذه الأهمية من خلال ما يلي:

١. تسلية الطفل وإمتاعه وملء فراغه.

٢. تعريف الطفل بالبيئة التي يعيش فيها من كافة الجوانب.

٣. تعريف الطفل بآراء وأفكار الكبار.

٤. تنمية القدرات اللغوية عند الطفل بزيادة المفردات اللغوية لديه، وزيادة قدرته على الفهم والقراءة.

٥. تكوين ثقافة عامة لدى الطفل .

٦. الإسهام في النمو الاجتماعي والعقلي والعاطفي لدى الطفل.

٧. تنمية دقة الملاحظة والتركيز والانتباه لدى الطفل.

٨. الإسهام في تنمية الذوق الجمالي لدى الطفل.

٩. مساعدة الطفل في التعرف على الشخصيات الأدبية والتاريخية والدينية والسياسية من خلال قصص البطولة وأعلام الماضي والحاضر.

١٠. جعل الطفل إنساناً متميزاً نظراً إلى اطلاعه على أشياء كثيرة ، عدا المادة المقروءة.

١١. إيجاد الاتجاهات الاجتماعية السليمة لدى الطفل ،وتعريفه بالعادات والتقاليد التي عليه إتباعها في مختلف الظروف.

١٢. ترسيخ الشعور بالانتماء إلى الوطن والأمة والعقيدة من قبل الطفل.

تأثير الأديب في تنمية شخصية الأطفال

ويتضح ذلك فى:

١. يساعد الأطفال على أن يعيشوا مرة أخرى خبرات الآخرين.

٢. يتيح الفرصة للأطفال لكي يشاركوا بتعاطف شديد وجهات النظر الأخرى والمشكلات وصعوبات الحياة التي يواجهها الآخرون.

٣. يمكن الطفل من أن يفهم أنماط الثقافات الأخرى.

٤. يوسع آفاق الأطفال ويجعل منهم شخصيات متسامحة تتقبل الغير، وتشعر أن أسلوبهم في الحياة ليس هو الأسلوب الوحيد ،وأن هناك من الثقافات ما يفرض علينا احترامه إن لم نقبله.

٥. يساعد بشكل علاجي في التخفيف من حدة المشكلات التي يواجهها الأطفال.

٦. ينمي عند الأطفال الاتجاهات الطيبة نحو مختلف الكائنات، والعقائد، والمهن، والمؤسسات، إلى غير ذلك من مجالات تتفاوت فيها أساليب الحياة.

٧. ينمي عند الأطفال ثروتهم اللغوية.

أهداف أدب الأطفال

أدب الأطفال له آثاره الإيجابية في تكوين الأطفال، وبناء شخصياتهم، وإعدادهم ليكونوا رواد الحياة، ويجب توظيف كل العناصر، بحيث تناسب توجهاتها عقلية الطفل وإدراكه، كي يفهم الطفل النص، ويحسه، ويتذوقه، ومن ثم يكشف بمخيلته غايته، ويمكننا تحديد أهداف أدب الأطفال من وجهة النظر التربوية إلى ما يلي:

١. أهداف ثقافية:

- تقديم المعلومات العامة والحقائق المختلفة عن الناس والحياة والمجتمع في بيئة الطفل وفي البيئات الأخرى.
- تقديم المضمون العلمي والأفكار المقتبسة من العلوم المختلفة التي تربط الأطفال بالعصر الحاضر، ومن ذلك: القصص العلمية، وقصص المستقبل.

- تقديم المضمون التعليمي الذي يستمد مادته العلمية من المناهج الدراسية المقررة، ومن ذلك: مسرحة المناهج، وهي أسلوب شائق جذاب لتقديم المادة التعليمية عن طريق مسرح العرائس.
- تحقيق النمو اللغوي عند الأطفال.
- التدريب على الإلقاء الجيد وطلاقة اللسان والشجاعة الأدبية ومواجهة الجماهير.

٢. **أهداف أخلاقية**:

تبصير الأطفال بالقيم الخلقية الفاضلة.

٣. **أهداف روحية**:

لتحقيق التوازن بين الاتجاهات المادية السائدة في العصر الحديث، وبين القيم الدينية والروحية التي لا يستطيع الإنسان أن يحقق السعادة الحقيقية بدونها، مع وضوح في الرؤية، يؤكد أنه ليس هناك تعارض بين العلم والإيمان، أو بين التفكير العلمي والمناهج الروحية:

- فالدين يحث على طلب العلم، وعلى التفكير والتأمل والبحث والاكتشاف.
- والعلم يدعم الإيمان، ويرسخ قواعده، وإنما يخشى الله من عباده العلماء.

٤. **أهداف اجتماعية**:

تعريف الطفل بمجتمعه ومقومات هذا المجتمع وأهدافه ومؤسساته، وما يجب أن يسود فيه من قيم وصفات اجتماعية، وهذا يكشف للطفل عن جوانب الحياة الاجتماعية، فيساعد على الاندماج في المجتمع ، والتجاوب مع أفراده .

٥. **أهداف قومية**:

لكي يعرف الطفل أنه عربي في وطنه الصغير، وأن وطنه جزء من الوطن العربي الكبير الذي تربط القومية العربية بين أجزائه ، وتدعم أواصر وحدته لغة واحدة، ودين واحد، وقيم روحية واحدة، وتاريخ واحد، وتراث مشترك، وموقع جغرافي متصل، وكيف أن حضارة العرب الزاهرة هي التي كانت نواة الحضارة الأوروبية بعد ذلك ، وكيف أن العرب يتطلعون بما لهم من آمال وإمكانات إلى اتخاذ مكانهم المرموق في عالم الغد.

٦. أهداف عقلية:

لكي تتاح للطفل من خلال الإنتاج الأدبي المناسب والمتفق مع أسلوبه في التفكير فرصة طيبة لنشاط عقلي مثمر في مجالات التخيل والتذكر، وتركيز الانتباه والربط بين الحوادث ،وفهم الأفكار، والحكم على الأمور، وحسن التعليل، والاستنتاج، وما إلى ذلك مما يساعد على نمو هذه العمليات العقلية وتطويرها، ومما يساعد على هذا أن يقدم الإنتاج الأدبي الجيد مواقف مناسبة تساعد الطفل على التفكير، وأنماطاً للتصرف السليم، ولأسلوب التفكير العلمي والعقلي المنظم، وكيف يستطيع الإنسان أن يتصرف في مختلف المواقف والمشكلات.

٧. أهداف جمالية:

- تقديم المعاني والأخيلة البديعة التي تستهوي الأطفال.
- تقديم الألوان الواقعية الجميلة من مختلف جوانب الحياة والوجود والطبيعة.
- تقديم الأساليب الأدبية الجميلة (جمال اللغة).
- تقديم المعلومات الفنية التي تثري حصيلة الأطفال عن الفن وألوانه والفنانين وأعمالهم.

- تقديم القيم والاتجاهات التي ترد خلال الإنتاج الأدبي، وتدعو إلى تقدير الجمال والذوق السليم.
- تقديم مختلف الألوان الجمالية المصاحبة للإنتاج الأدبي، مثل:

أ. الصور والرسوم والألوان المصاحبة للإنتاج الأدبي المطبوع في كتب ومجلات.

ب.الموسيقى والمؤثرات الصوتية المصاحبة للإنتاج المسموع في الإذاعة والتليفزيون وغيرهما.

ج. المناظر الخلفية والديكور، والملابس والمؤثرات الصوتية والضوئية، وما إلى ذلك مما يصاحب الإنتاج المسرحي.

٨. أهداف ترويحية:

حيث يمكن أن يكون أدب الأطفال وسيلة شائقة لشغل أوقات الفراغ، وتسلية محببة تجلب المسرة والمتعة إلى نفوس الأطفال، بشرط ألا يكون هذا على حساب القيم والمثل والاتجاهات الحميدة، أو على حساب من يمثلون هذه القيم كالآباء والمعلمين ورجال الدين.

****

المبحث الثانى
أنواع أدب الأطفال

أولا: الشعر

شعر الأطفال –اصطلاحًا– هو جنس أدبي فنيّ، يكتبه الشعراء الكبار خصّيصاً لجمهور الأطفال، وهو يتبوأ مرتبة الرّيادة بين فنون الأدب الطفلي، ويعدّ أقربها إلى طبيعتهم، وأسبقها وصولاً إلى وجدانهم، وتختلفُ أنواع شعر الأطفال بحسب الشكل الفنيّ الذي يتّخذه، فهناك الشعر الغنائي، والشعر السردي أو التعليمي، والشعر القصصي، والشعر المسرحي...فعندما يوضع الشعر للغناء، أو الإنشاد يكون شعراً غنائياً، وهو الأقرب إلى المرحلة الطفلية المبكرة.

وحين يحتوي مضمونا تعليميا ويهدف إلى تزويد المتلقّي بحقائق ومعلومات، يطلق عليه الشعر التعليمي، أما عندما يجمع بين غنائية الشعر وبين أسلوب القصة، ويتسم بالارتباط الموضوعي والتسلسل الحدثيّ يسمى شعراً قصصياً، وإذا غلُب عليه الإلقاء التمثيلي، وتوافرت فيه عناصر كالحوار والشخصيات، يدعى الشعر المسرحي، وإذا كان شعر الأطفال الغنائي هو أقرب الشعر إلى نفوس الأطفال، وأكثر ألوانه تداولاً، فلأنّه يتمتع بسهولة الإلقاء والحفظ والتلحين، ويخاطب الفكر والإحساس معاً، ولعلّ أهمّ أشكال الشعر الغنائي إضافة إلى الأغنية والنشيد: المسرحية الغنائية، والقصّة الغنائية، وأغاني المهد والترقيص الجميلة.

إنّ شعر الأطفال يسهم بدورٍ هام في تربية الطفل، وإعداده للحياة بشكل مثمر، من خلال تحقيق جملة من الأهداف، منها: أنّه يعدُّ وسيلة

تعليمية لتزويد الأطفال بالمعارف والتجارب والقيم الإنسانية، وبألفاظ وتراكيب جديدة، تنمّي ثروتهم اللغوية وتعينهم على حُسن استخدام اللغة، كما يعدُّ هذا النوع الأدبي وسيلة مثلى للتعبير عن أحاسيس الأطفال ومشاعرهم، وإثارة الإحساس بالجمال، وبثّ البهجة والسرور في نفوسهم، إلى جانب دوره في معالجة بعض حالات الخوف والخجل والانطواء، والكشف عن مواهبهم نظماً وإلقاءً.

خصائص قصيدة الطفل

إذا أردنا أن نتوجّه لأطفالنا بهذا اللون الإبداعي توجّهاً جاداً، ويكون نتاجنا فيه مؤثّراً وموازياً لأهميّة الشريحة المخاطَبة، كان لابدّ من الالتزام بمجموعة خصائص، تتقاطع في بعضها مع خصائص شعر الكبار، وأهمّ خصائص أو متطلّبات قصيدة الطفل، هي كالتالي:

١- **الاحترام:** إنّ احترام الطفل الذي تتوجّه القصيدة إليه، ضرورةٌ تربوية، وذلك باحترام أحاسيسه، وطاقاته، وذاته، واحترام عالمه الغنيّ بالخيالات والتصوّرات.

٢- **المتعة:** يطلب الأطفالُ قصيدةً تُدخل المتعة إلى نفوسهم، وليس أدلّ على اكتشاف متعة القصيدة من مراقبة الأطفال في أثناء تلقّيها...ويلعب الانسجام والتآلف في الألفاظ الطفلية، والصور الخياليّة، والموسيقا والإيقاع والمضمون دوراً رئيساً في تحقيق هذا المتعة.

٣- **الرمز:** إنّ الطفل بخياله الوثّاب، ونفسيته التي تتقبّل المعرفة وتستقبل كلّ جديد، يجد في الرمز الشفّاف ملاذاً يرتاح إلى ظلاله وأبعاده، لأنّ علاقته به تكون أقرب ما تكون إلى لهوه وتسلياته الطبيعية.

٤- **أسلوب تقديم القصيدة:** إنّ للأسلوب الذي تقدّم بها القصيدة للطفل؛ شأناً هاماً في تقبّل القصيدة، ولعلّنا نتذكّر عندما كنّا أطفالاً؛ كيف كنّا نلوذ بأحضان جدّاتنا، نستمع إلى حكاياتهنّ بكلّ أحاسيسنا ومشاعرنا.

وتتيح أغاني الأطفال أول اتصال لهم بالأدب، فالقصائد القصيرة والبسيطة تكون –عادة– مليئة بالحركة والمرح والحوادث المسلية والإيقاع الموسيقيّ لأبيات الشعر، لهذا ظلَّت سببًا لمتعة الأطفال لمئات السنين. كما تساعد هذه الأغاني الأطفال على تعلُّم الأيام والشهور وأحرف الهجاء والأعداد، ومن أشهر هذه الأعمال في الغرب كتاب كنز الإوزة الأم الذي شرحه بالصور ريمون بيرجس، ويستطيع الأطفال الذين تجاوزوا مرحلة الأغاني أن يستمتعوا بقصائد كُتبت لهم خاصة، وهي في معظمها قصائد مرحة ومسليّة، كما يحب الأطفال الشعر المرح؛ لأنه يتناول شخصيات ومواقف ليست مثقلة بالجد والمنطق ولا تخلو من الفكاهة.

ويسمَّى هذا اللون بالشعر السَّاذَج، ومن أشهر كتّابه في اللغة الإنجليزية لويس كارول، ويتناول أكثر الشعر الفكاهي، الأطفال والحيوانات، وقد كتب ميلن من إنجلترا، مجموعة شعرية تمثّل هذا اللون من الشعر عنوانها حين كنّا صغارًا للغاية (١٩٢٤م) والآن بلغنا السادسة (١٩٢٧م)، وأما شعر الأطفال غير الفكاهي فيعنى بوصف مشاعر الأطفال ورؤيتهم للعالم من حولهم، وتمثله أشعار روبرت لويس ستيفنسون، حديقة أشعار الطفل (١٨٨٥م)، وأما أشعار ألين فيشر: أرانب (١٩٨٣م) فتصوّر، العالم من وجهة نظر الطفل.

ثانياً: الحكاية الشعبية

لعلَّ الحكاية من الأشياء الأولى التي يتعرف إليها الإنسان في حياته ومنذ سنوات طفولته المبكرة بكل ماتحمله من إحساس بالسعادة والمتعة والفرح والحزن والخوف والرهبة، وربما من خلال الحكاية "تبدأ تصوراتنا الأولى عن العالم، عن الخير والشر، عن الحق والباطل وعبر التصورات والتخيلات التي تثيرها الحكاية لدى الإنسان يُدرك بصورة أفضل حقيقة الحياة، ويصبحُ مؤهلاً كي يختار غاياته ومطامحه الواقعية التي يصبو إليها".

والحكاية الشعبية أحدوثة يتناقلها الناس شفوياً جيلاً بعد جيل، قبل أن تبدأ الشعوب بتدوينها خوفاً عليها من الضياع، وسيبقى وجودها الشفوي بشكل أو بآخر على ألسنة الناس ما استمر الناس، لأنها تمثلُ أرواح الشعوب التي أبدعتها، وتحملُ، السمات الجوهرية لوعيها وثقافاتها وتصوراتها العامة، كما تحملُ ثقة هذه الشعوب العميقة بانتصار قيم العدالة والخير، ويروي الحكاية –عادة– راوٍ حفظها عمن سبقه، وقد يكون هذا الراوي جدة عجوزاً يتحلق أحفادها من حولها أو أماً تضطجعُ في ليلةٍ شتوية إلى جوار طفلها، أو رجلاً موهوبًا في مجلس ما، ويستخدم هذا الراوي لغته الخاصة إلى حدٍ بعيد، دون التقيد بألفاظ الحكاية كما سمعها من قبل، مع الحفاظ على شخصياتها وحوادثها، ولكنه قد يتفنن بترتيب بعض الأحداث، من حيثُ التقدم والتأخير، وقد يختصرُ أشياء غير قليلة وفقاً لوضع المستمعين من حوله، مللاً أو شعوراً بالنعاس مثلاً، أو رغبة عارمة وشوقاً للتلقي...وما إلى ذلك، ويترافق السرد –بطبيعة الحال– بإشارة تؤديها اليدان، وتعابيرَ متغيرةٍ ترتسم على الوجه، وتلوين صوتي يوافق المواقف والشخصيات وما إلى ذلك، وتخلو الحكاية من الاستدلال العقلي، "وتكتفي بالسرد الحكائي دون خوض في التفسيرات، ويقبلها السامعُ بعاطفته ووجدانه، ومن هنا يمكن أن يسهم تفعيلها بشكل إيجابي في تنمية مخيلة الطفل العربي وإثرائها، من خلال توظيفها فيما يوسع آفاقه التصويرية وثقافته الخيالية الهامة".

وتقسم الحكايات الشعبية كما يرى بعض الباحثين في الأدب الشعبى إلى مجموعات ثلاث هى: حكايات على ألسنة الحيوانات، وأخرى تصور حياة الناس الواقعية، وثالثة هي حكايات الجن والساحرات، ويرى هذا الرأي أن أقدم الحكايات الشعبية وأكثرها عراقة هي تلك التي وردت على ألسنة الحيوانات، وفيها تؤدي دور البطولة مجموعة من وحوش الغابة وحيواناتها؛ فيتصف كلٌ من هذه الوحوش بصفاتٍ ثابتة تميزه من غيره: فالثعلب خبيث

ومحتال، والديك مغرور وطائش، والذئب شرس وجشع، وأحياناً غبي وما إلى ذلك.

في حين تصنف إحدى الباحثات الحكاية الشعبية إلى صنفين: حكايات خرافية وأخرى شعبية، وقد تمزج بينهما في حكايات خرافية شعبية، وتكثر التصنيفاتُ والتقسيمات، حتى يرى البعض، أن تصنيف الحكايات عامة أمرٌ لايخلو من تعسف.

وانطلاقًا من أن الطفولة هي المرحلة الأهم في تكوين الشخصية الإنسانية، ومن أن فيها تتبلور السمات الأساسية لما ستكون عليه شخصية الطفل في قادم الأيام، يزداد الاهتمام بتربية الطفل تربية متكاملة تشمل النواحي الوجدانية والعقلية والاجتماعية كافة، وهنا تبرزُ الحكاية كواحدة من أهم الأدوات التي تنهضُ بهذا الدور، ويزداد عددُ المربين والاختصاصيين النفسيين الذين يهتمون بفن الحكاية كوسيلة لتعليم الطفل، وتربية وتطوير مداركه في مختلف المراحل، ولاسيما مرحلة ماقبل المدرسة، ويستخدمها بعضهم بهدف تصحيح سلوك الطفل، وتفعيل نشاطه، وتأسيس مناخ نفسي طيب لديه.

ويرفض البعض بشكل قاطع أن تستخدم الحكايات الخرافية والأساطير في الأدب المعد للأطفال، بل يعترضون على كل الأنماط الحكائية التي تستخدم الخيال الواسع والوسائل السحرية، وترتكز على ارتحال الأبطال إلى عالم المجهول، عالم الأرواح والشياطين والأشباح، دون الاهتمام بتفاوت هذه الأنماط في تصويرها لهذا العالم وعلاقته بالعالم الواقعي، ويروا أن الأساطير مادة سيّئة مليئة بالأحداث المفزعة، والشخصيات المرعبة التي تهدّد أمن الأطفال الداخلي، وتشعرهم بعدم الأمان في هذا العالم، وتستند وجهة النظر هذه إلى القول:

"بأن هذا العالم الخرافي أو الأسطوري من شأنه إبعاد الطفل عن معرفة ذاته، بتغريبه عن محيطه، وكيفية التعامل معه، وتقديم حلول جاهزة للمشكلات العويصة التي تتطلب نضالاً مريراً في بعض الأحيان، ويعدّ هذا الأمر من مكامن الخطورة في الأساطير وجلّ الحكايات الخرافية إن لم يكن كلها، إلى جانب ماتحمله من الإغراق في القدرية والقسمة والنصيب وأفعال الزمن ومكائده والهروب من المسؤولية، ونزعة التبرير، ورد الأمور إلى إرادات مستترة، والاندفاع والطيش عندما يكون التروّي والحذر ضروريين، والجبن والتواكل عندما تدقّ ساعة الجد...والإيمان بالخوارق والإيمان بالمشعوذين والدجّالين...إلخ.

كما يستند هذا الرأي عند بعض الدارسين العرب إلى امتلاء حكاياتنا الشعبية بنماذج وصور نمطيّة سلبية قد تفسد الطفل، منها مثلاً صورة المرأة، الخالة (زوجة الأب) القاسية الشريرة، التي لاتتورع عن قتل ابن زوجها لأتفه الأسباب، مما يخلق كرها وعداء مسبقين لدى الطفل تجاه كل خالة، ولدى الخالة نفسها تجاه أبناء وبنات زوجها، بالإضافة مثلاً إلى صورة الشطّار واللصوص المحبّبة فـ (علي بابا) مثلاً ليس إلا سارقاً، حتى ولو كان يسرق مغارة اللصوص، فهل سرقة السارق عمل مباح ومقبول أخلاقياً واجتماعيا.

ويبالغ هؤلاء انطلاقاً مما سبق، فيرون أن من غير المقبول تقديم الحكايات الخرافية للأطفال حتى ولامعدّلة أو محوّرة أو محدّثة "فالأميرة الساحرة، والجان، والخاتم السحري"، حكايات تجاوزتها الحياة الحديثة وطواها الزمن، وأدخلت الحياة العصرية أدواتها التي تتناسب مع طبيعتها، وارتكزت على العلم ووسائله، فبدل (بساط الريح) أصبحت مركبة الفضاء، وبدل أن يكلّم الطفل (الخاتم السحري)، صار يكلّم العقل الإلكتروني وهكذا.

والبعض الآخر يقوم على نفي التعارض بين الأسطورة والخرافة من جهة والعلم من جهة أخرى؛ لأن لكل منهما حقله الخاص به، والمجال

المحدّد لعمله، وكل منهما يشبع حاجات ورغبات مختلفة في النفس الإنسانية، وعليه نسمع أصوات بعض علماء التربية تتعالى مبدّدة الخوف من استخدام الأسطورة والحكاية الخرافية في الأدب المكتوب للطفل؛ فيقول أحد الباحثين: "اتصال اهتمام الطفل بالقصص الخرافية، بحاجته إلى إعطاء شكل درامي للمشكلات التي تعترضه، ولإبداعات خياله، فالعديد من عناصر الفلكلور (الفن الشعبي)، ومن القصص الخرافية بما في ذلك المشاهد العنيفة، تتطابق مع عالم الطفل الباطني، ويمكن لهذا الأخير أن يتقمص بسهولة مختلف مظاهر الحكاية"، وهو بذلك يرى في استخدام الأسطورة والخرافة في أدب الأطفال مسألة صحّية ويحثّ عليه ربّما بسبب ماتمتلكانه من غرائبية الأحداث، والإدهاش، وقدرات الأبطال الخارقة على تحقيق المعجزات وتجاوز الصعاب والعقبات، مما يثري مخيّلة الطفل وينميها.

أما البعض الآخر، فيعترف أن للأساطير والحكايات الشعبية المختلفة بعداً أساسياً في الحضارة وأن توظيفها في تربية الطفل عقلياً ووجدانياً أمر لايخفى على أحد، وبخاصة تلك الحكايات التي تتوجه في الأساس إلى تربية الطفل، وتنمية مخيّلته، وقدراته الذهنية والوجدانية، فهي تقدّم له أنموذجات من السلوك الإنساني الجيّد، تكون أداة للمعرفة في تشكيل تصوّره عن الكون، والمحيط الاجتماعي، ولابأس من أن تمرّ تلك الحكايات الأسطورية والشعبية بمقاييس العصر ومعاييره قبل أن تقدّم للطفل، بحيث يتم تنقيتها من التصورات المرعبة والقيم الضارة والشوائب المفسدة ربما لأن تلك الحكايات الشعبية أو لنقل معظمها لم توضع أساساً للطفل.

ولاتلبّي احتياجاته التربوية والتعليمية، فمن الضروري إذاً حين نتعامل مع حكاية شعبيّة تراثية أو غيرها أن نعمل على صوغها بصورة تخصّ الطفل، بطريقة نجنّبه فيها ما لايتلاءم مع مستواه العقلي والنفسي

والاجتماعي، وبشكل يجعلها لاتشذ عن مفاهيم التربية الحديثة، التى لا غنى عنها.

والخلاصة:

إن الحكايات الشعبيّة أدّت عموما دور المربّي والمعلّم والمعالج النفسي الخاص، ولئن استطاعت النماذج الباهرة منها أن تحافظ على قيمتها من الزمن، إلا أن الكثير منها تقادم من حيث الموضوع والمحتوى والأفكار، وراحت أمور الحياة الجديدة ومشكلاتها تتطلّب ولادة حكايات جديدة، وليس من قبيل المصادفة أن يظهر الكثير من الحكايا القديمة بِحُلَلٍ معاصرة، تلائم الحالة الجديدة.

فدراسة تاريخ الحكاية الشعبيّة، كاتجاه في دراسة الفلكلور بدأت تحضر بقوة في أعمال الكثير من الباحثين المتخصصين في الأدب الشعبى، وغير المتخصصين لكّن مايعني المربّي والاختصاصي النفسي في أعمال هؤلاء هو التأسيس لفن الحكاية، ومكانة الحكاية في حياة الشعب، ووصف عالم الأنموذجات الحكائية، وتحظى بأهمية خاصة في أعمال هؤلاء مسألة إظهار وكشف الطاقات التربوية الكامنة في الحكايات، والوظائف التعليميّة والتطويرية، والتربويّة والبيئيّة، والإمتاعيّة لهذه الحكايات.

****

ثالثاً: القصص العامية

يتناول هذا النمط القصص الشعبية المعتمدة على المأثورات التقليدية والخرافات والعادات والأساطير وكذلك معتقدات الناس، وهو يتناول حكايات الجن ومخلوقات أخرى خيالية تستعين بالسِّحر، وتُعدُّ ألف ليلة وليلة التي تحتوي على قصص مثل: علاء الدين والمصباح السحري والرحلات السبع للسندباد البحري مجموعة من القصص الشعبية، وقصص الجن التي تعبّر عن حضارات في آسيا وشمالي إفريقيا، وقد ألهمت القصص الشعبية خيال عدد من الكتاب في القرن التاسع عشر الميلادي من أشهرهم، الأديب الدنماركي هانز كرستيان أندرسون، فكتب مجموعة من أفضل ما كتب في أدب الأطفال المتوارث في الغرب وهي تشمل، البطة الصغيرة وملابس الإمبراطور الجديدة، **والفرق بينها وبين الحكاية، أن الحكاية غالبًا ما تروى شفاهية، أما القصص فغالبًا ما تكون مكتوبة.**

الجدير بالذكر أن هذه القصص والآداب الشعبية بمجملها ليست حصيلة إبداع فردي أو منسوبة إلى مؤلف بعينه، وإنما هي حصيلة الإبداع الجماعي الشعبي مساهمين بشكل أو بآخر في تعديله وصياغته بما يتناسب مع مجريات ومتطلبات الفترة الزمنية التي رويت فيها تلك القصص، والتي حُوّر العديد منها بما يتناسب مع الذوق الشعبي السائد في ذلك الزمان.

فنرى هذا النوع من القصص لم يخضع لمكان ولا لزمان بعينه، فنسمعها في أغلب المرات تُروى بالبداية الشهيرة "كان يا ما كان، كان في قديم الزمان"، ولذلك كان من الطبيعي أن تتغير الأحداث والمجريات في هذه القصص نتيجة تناقلها شفهيًا من جيل إلى آخر، ورغبة كثير من الرواة بتحوير القصة إلى الشكل الذي يراه جذاب أكثر للمستمع، وقد جسّدت القصص الشعبية الكثير من المعتقدات والأفكار والقيم السائدة لدى الشعوب

بطريقة سهلة وبسيطة شكلاً وأسلوبًا متماشيةً مع رغبة المتلقي الدائمة في انتصار الخير وإظهار الحق.

ومن هذه الرغبة الفطرية لدى الشعوب بانتصار الخير دائمًا، فقد لاقت هذه القصص استحسان وانتشار شعبي كبير، ولعل سبب الجذب الأكبر لتلك الحكايا كونها ملأى بالمبالغات والبطولات الخارقة، فيقول فوزي العنتيل: "وعالم الحكايات الشعبية الذي يتحرك فيه أبطال الحكايات طلبًا للمغامرة أو بحثًا عن الأدوات السحرية عالم زاخر بالعجائب مُمعن في الخيال، عالم يبعث الحِس والشعور في الحيوان والنبات والأدوات الجامدة وتُلغى فيه أبعاد الزمان والمكان، وتفيض فيه مشاعر الوفاء والتضحية والعدل وينتصر الخير فيه دائمًا".

ومن أشهر تلك القصص الموروثة قصص (تغريبة بني هلال)، و(حرب البسوس)، و(ألف ليلة وليلة) والتي لفتت الأنظار إلى الأدب المتعلق بالحيوان وأضافت إثراء قصصي كبير في عالم قصص الأطفال.

حيث أشار الدكتور أحمد زلط "أنه إذا دقق الكتّاب والمؤدبون والمعلمون في اختيار النصوص التي تناسب أعمار ومدارك الأطفال أو إعادة صياغة الحكايا الخرافية والأساطير، تتحقق الوظائف التربوية والجمالية واللغوية في مجال أدب الأطفال، وهذه المعالجة لن تُفقد أصول الحكايات على ألسنة الحيوان أو الأسطورة شيئًا من مغزى أيهما".

فقد كانت الأسطورة ولا تزال أحد أهم أنواع القصص الشعبي المأثور والتي رويت على أنها حقائق بالإضافة إلى قصص الخوارق التي تدور أحداثها حول مجريات خارقة للعادة، وتلك القصص التي تداولتها الناس بغرض التسلية كالحكايات الشعبية المختلفة، كمقامات بديع الزمان الهمذاني.

وبرغم أن هذه الحكايات احتلت مكانة مهمة في الماضي على مر العصور المتتابعة إلى يومنا الحاضر، إلا أنها تواجه العديد من التحديات

التي أفقدتها شيئًا من مكانتها وضاءلت من تأثيرها شيئًا فشيئًا، ولعل أبرزها هو ما نواكبه من تطورات ثقافية وتقنية، والتي أستبدلت الحكواتي والراوي السارد لتلك الحكايات بأسلوبه وانفعالاته التي تُعد جزءًا لا يتجزأ من نجاح ذلك المشهد القصصي الشعبي لتحل مكانه الأجهزة الحديثة والتقنيات السريعة. ولعل المؤسسات الثقافية المعنية قد أخفقت وقصرت في توثيق هذا الفن الشعبي، ولم توليه الاهتمام المطلوب في التوثيق والأرشفة والجمع والحفظ.

****

رابعاً: الأساطير

أجمع الدارسون لعلم الأساطير، أي المثالوجيا، على الطابع الاعتقادي والإيماني للأسطورة، مع ما يحمله ذلك من قداسة، تقول أديث هاملتون الاختصاصية في الأساطير الإغريقية "إن الأسطورة ماهي إلا تعليل لإحدى الظواهر الطبيعية مثل كيفية خلق هذا الشيء أو ذاك في الكون، كالناس والحيوانات، والأشجار، والشمس، والقمر والنجوم والزوابع، وباختصار كل ماله وجود، وكل ما يقع في هذا الكون الفسيح، والأساطير ماهي إلا العلم القديم، وهي نتاج محاولات الإنسان الأول لتعليل كل ما يقع تحت بصره وحسه".

والأسطورة بهذا المعنى تكتسب قداستها من كون أبطالها آلهة، وشبه آلهة، ومن قوة الاعتقاد بهذه الآلهة، وبأفعالها، وأقوالها، وإن كانت قد توارت من الذهن الجمعي للناس بعد ظهور الأديان السماوية الثلاث والفلسفات الوضعية الحديثة، وتطور العلوم الإنسانية والطبيعية، إلا أنه لازال لبعض الاعتقادات والعادات والطقوس الأسطورية سطوتها على أذهان البعض، ومن هنا تتبدّى تقليدية الأسطورة بانتقالها من جيل إلى جيل، بالرواية الشفهية، مما يجعلها ذاكرة الجماعة التي تحفظ قيمتها وعاداتها وطقوسها وحكمتها، وتنقلها للأجيال المتعاقبة وتكسبها القوة المسيطرة على النفوس.

أوضحتْ التعريفات الخاصة بالأسطورة والخرافة، أنها جاءت لتعبّر عن ضرورة وحاجة موضوعية، وهو ما ينأى بها عن القصدية، أي أنه لم يتم التعامل معها في الأصل كفن، كما يعني في وجه من وجوهها بأنها ليست موجهة للأطفال، ولا تعكس اهتماماتهم، ولا تلبي احتياجاتهم، بل أن الصياغة الرفيعة واللغة الفصحى للأسطورة تتجاوز القدرات اللغوية للطفل، ناهيك عن طابعها التجريدي، وإذا كان الأطفال ينجذبون كثيرا إلى الحكايات والخرافية

تحديدا فلبساطتها والغرائيبية أحداثها الزاخرة بالبطولات الخارقة والعجائب وأساليب التشويق المختلفة الذي يبتدعها الرواة.

ومن هنا يكتسب السؤال مشروعيته: هل يمكن تقديم الأسطورة للأطفال؟

– **وجهة النظر الأولى:** ترى أن القصص مادة سيئة مليئـة بالأحداث المفزعة والشخصيات المـرعبة التي تهدد أمنهم الداخلي، وتشعرهم بعدم الاطمئنان في هذا العالم .

– **وجهة النظر الثانية:** ترى أنها تثير الخيال وتوسع الآفاق، وتثير العقول، فهـي بهذا تعادل الأعمال الروائية لكبار الكتّاب، وأن مذاقها لدى أطفال عصرنا هو نفس مذاقها لدى الأجداد منذ آلاف السنين.

– **أما وجهة النظر الثالثة:** فترى أن أشكال التعبير الشعبـي، يجب أن تمر بمقاييس العصر ومعاييره قبل أن يعاد تقديمها للأطفال، ويشمل هـذا فيما يشمل تنقيتها من الخيالات المفزعة والقيم الضارة والشوائب المختلفة.

ويمثل وجهة النظر الثالثة العديد من الباحثين والدارسين العرب أمثال الدكتور عبد الحميد يونس ، والأستاذ أحمد نجيب، والدكتور عبد العزيز عبد المجيد، والدكتور هادي نعمان الهيتي، وإن كان الأخير يبدي تحفظات كثيرة في هذا الجانب، يجعله أ كثر ميلا لوجهة النظر الأولى، حيث يشير – الدكتور الهيتي – إلى أنه حين بدأت حركة تدوين الحكايات الشعبية في بعض البلدان، وجد أن هناك جزءا قليلا يمكن أن يشكل زادا لأدب الأطفال، ووجد في بعض آخر قسوة أو خشونة.

لذا أعقبت حركة التدوين حركة أخرى مكملة، هي تحوير بعض تلك الحكايات التي قيل أنها كانت للأطفال، إضافة إلى تطوير بعض الحكايات الأخرى التي كان يتناقلها الراشدون، وذلك بقصد أن تكون مناسبة للأطفال، بيد أن عملية التحوير أو ما تسمى أحيانا بالتطوير والتعديل ليست سهلة، بل

ومحفوفة بالمخاطر، خاصة عند التعامل مع الحكايات الشائعة بين الأطفال، حيث سرعان ما يكتشف الأطفال أي تحوير فيها، فيبدو لهم الأمر مربكا، ولعل ما يعزز هذا الرأي تناول الحكاية عينها بصيغ ومضامين من قبل أكثر من كاتب، فقصة " علاء الدين والمصباح السحري " من قصص " ألف ليلة وليلة " كتبها " كامل الكيلاني " وصدرت عن دار المعارف بمصر، كما صاغ الحكاية نفسها "سليمان العيسى" أو بالأصح ترجمها عن نص باللغة الإنجليزية ونشرها في سلسلة "أساطير وحكايات خرافية"، ضمن منشورات مطبعة " يدبيرد".

كما قامت دار المعارف – لبنان ، بنقل الحكاية عن مؤسسة " الت ديزني" ، والأمر نفسه بالنسبة لحكاية " علي بابا " و"علي بابا والأربعون لصا " و" علي بابا والأربعون حرامي " بالتتابع ل " كامل الكيلاني " و " سليمان العيسى " و "نظيرة محمد " (سلسلة " مكتبة الطفل " – دائرة ثقافة الأطفال – العراق) ما دفع يعقوب الشاروني إلى القول: (... وهكذا نجد أن كل صفحة من صفحات القصص المأخوذة عن ألف ليلة وليلة، تمتلىء بما يجب أن نقوله للأطفال، أو بما يجب ألا نقوله للأطفال، أو بما نقوله بعد تعديله ليتلاءم مع ما يجب أن نقوله للأطفال.

وليس المسئول عن ذلك النص الأصلي، بل هو الكاتب الذي يأخذ على عاتقه مخاطبة الصغار، والوصول إلى عقولهم وسلوكهم عن طريق الحكاية والخيال)، والسؤال هنا...كيف سيتعامل الطفل مع هذه الحكاية أو تلك لو وقعت بيده بصيغها ورؤاها ومضامينها المختلفة؟ أما الأساطير – حسب الهيتي – ليست أكثر من " أكذوبة كبيرة" بعد أن كانت بالأمس البعيد عقيدة راسخة، وهي بهذا المعنى مادة لا تناسب الأطفال.

إن رصدا دقيقا لمكامن الخطورة في الأساطير وجل الحكايات إن لم يكن كلها – تحديدا عند تقديمها للأطفال – يجعلنا نشير بأصابعنا إلى

الإغراق في القدرية والقسمة والنصيب، وأفعال الزمن ومكائده، والهروب من المسؤولية، ونزعة التبرير، ورد الأمور إلى إرادات مستترة، والاندفاع والطيش عندما يكون التروي والحذر ضروريين، والجبن والتواكل عندما تدق ساعة الجد، والتقليد، والتقيد بالقوالب، والشكليات الجاهزة، والإيمان بالخــوارق، والحماس اللفظي، والإيمان بالمشعوذين والدجالين والسحرة، والمعتقدات الشعبية القديمة، ظاهرة العين والتشاؤم...إلخ.

لنأخذ حكاية "علي بابا " مثالا على بعض الحكايات الشعبية التي تحمل قيما سلبية تؤثر على الأطفال، حيث نجد في القصة التي أعدها " كامل الكيلاني " أن " علي بابا يسرق اللصوص، وهو منطق الحكاية الشعبية في " ألف ليلة وليلة "، لكن منطق الأطفال يجعلهم يتساءلون عما إذا كان من الجائز سرقة اللص، فالقانون يعاقب الشخص الذي يلجأ إلى السرقة، ليسترد حقا له، فكيف و"علي بابا " يسرق مالا ليس له ؟!.. وفي مكان آخر من القصة نجد مرجانة، خادمة "علي بابا"، تملأ وعاء كبيرا بالزيت، وتضعه على النار حتى يشتد غليانه، ثم تفتح كل خابية وتصب فيها شيئا من الزيت حتى قتلت اللصوص جميعا أشنع قتلة، وهو ما تقوله الحكاية الشعبية أيضا، وهنا يمكن للقارئ الصغير أن يتساءل عما يمكن للمسروق أن يقتل السارق، في حين أن التشريع لا يسمح بذلك إلا في حالة الدفاع عن النفس، وهذا أمر يجب معرفته.

كما تعج بعض الحكايات بصور الازدراء للمرأة، وتعمم صورا نمطية سلبية، مثل صورة الخالة – زوجة الأب – القاسية والشريرة، في إحصاء للحكايات الشعبية اليمنية المنشورة في كتاب " حكايات وأساطير يمنية " للأستاذ علي محمد عبده ، ظهر أن هناك ثلاث حكايات تتعرض للموضوع نفسه (وريقة الحنُا، الدَجرة ، الحمامة المسحورة)، إلى جانب حكاية لم تنشر

في الكتاب، هي "جليد الحمار"، وهي غير الحكاية المعروفة "جليد أبو حمار".

ولا تخفى المساوئ الاجتماعية والتربوية لتعميم مثل هذه الصورة السلبية للمرأة / الخالة للأطفال ،وما يمكن أن تولده من كراهية ومواقف عدائية مسبقة عند الأطفال وعند الخالة أيضا التي سبق وحدد لها المجتمع هذا الدور وطلب منها ضمنيا تمثله وتمثيله.

إن المآخذ السلبية الكثيرة علـى مضامين الأساطير والحكايات الشعبية باعتبار (إن القسم الأكبر من آدابنا الشعبية وطقوسنا الاجتماعية مؤسس على مزيج غامض من التَحيز والتعصب والأوهام والصور الذهنية المختلفة)، قد عززت من دعوات الرافضين تقديمها للأطفال كما هـي أو محّـورة ومعـدلة باعتبار أن "الأميرة الساحرة، والجان ، والخاتم السحري" حكايات تجاوزتها الحياة الحديثة، وطواها الزمن، وأدخلت الحياة العصرية أدواتها التي تتناسب مع طبيعتها، وارتكزت على العلم ووسائله، فبدل "بساط الريح" أصبحت مركبة الفضاء، وبدل أن يكلـم الطفل الخاتم السحـري، يكلم العقل الإلكتروني، وهكذا...).

بل أنه في برلين الغربية –سابقا– أوقفت رواية الحكايات الخرافية والأساطير في دور الحضانة، ليشب جيل جديد، لم ولن يسمع عن سندريللا، وذات الرداء الأحمر وغيرها من القصص التي ظلت تروى للصغار عبر قرون طويلة وحجتهم في ذلك أنهم لا يريدون أن يعيش الأطفال بعقولهم الناشئة في ظل الخوف والرعب الناجمين عن هذه القصص التي تقدم أبطالا من الملوك وكبار التجار والنبلاء الذين لا يستحقون الاحترام والتقدير من جانب الناشئين، إذ أن هذه الشخصيات ليست النماذج التي يجب أن يكبر الصغار ولها في نفوسهم ووجدانهم نوع من التبجيل والتقدير.

من المعلوم أن الرفض لا يطال الأساطير والحكايات الشعبية وغيرها من أنواع الأدب الشعبي لذاتها، ولا ينتقص من قيمتها التاريخية والمعرفية بوجه من الوجوه، إ نما الأمر يتصل بتعاطي الطفل معها، والتعامل معها بقداسة أو على أقل تقدير كمسلمات اجتماعية، بل أن الواجب يقتضي الدعوة إلى الاهتمام بكل الأساطير والموروثات الشعبية من خلال جمعها وتنقيحها ودراستها وتعميمها، باعتباره إرث قومي وتأريخي لا غنى عنه.

إن طابع الإدهاش وغرائيبية أحداث الأساطير، وقدرات أبطالها الخارقة، وحركة الزمن فيها، قد جعل البعض يفترض لها دورا في إثراء مخيلة الطفل وتنميته، وإن كنا لا ننكر هذا التأثير، لكنه ذلك الخيال الذي يبتعد بالطفل عن الواقع ليلقي به في جزر مظلمة خارج عالمنا، بل ويفقده الحلم الذي هو أساس التخيل، فمرد اهتمامنا بالقديم وبالموروثات الشعبية عند حديثنا عن الطفل وأدب الأطفال، جاء من باب العاطفة، وتأكيد الهوية القومية، بما هي تميّز عن الأنا الآخر، وهو ما نأى بنا عن الاهتمام بالقادم، بالمستقبل، لذا جاء تعاطينا مع أدب الخيال العلمي ضعيفا، إن لم يكن في حكم المعدوم، رغم أهميته في إثراء مخيلة الطفل وتنميتها، بل وفي تنمية قدرته على الخلق والابتكار، وهو ما نحن في أمس الحاجة إليه دائمًا.

"...إن هدف هذه القصص ليس إيصالها المعلومات إلى الأطفال، بل إشباع مخيلاتهم، ودفع عقولهم إلى التفكير في آفاق أكثر سعة، لذا تعد تنمية قدرة الطفل على التخيل والتأمل والمرونة أحد أهداف هذه القصص"، وبهذا يكون الخيال إيجابيا، فاعلا ومنتجا، وليس خيالا مأزوما، محاصرا بالسحرة والجن والعفاريت والغيلان، فالثقافة العلمية – حسب الدكتور بشير البكري – هي التي تحمي أطفالنا من الخرافة والسحر والأحاجي والأساطير.

خامساً: الملاحم

قصص طويلة عن أبطال أُسطوريين من أشهرها: الإلياذة والأوديسة لهوميروس، وهما من أحب كتب الأطفال، وبالمثل القصص الملحمية عن الملك الإنجليزي آرثر وسيفه السّحريّ، وفرسان المائدة المستديرة، وتعتمد الملحمة بشكل أساسي على التقليد الشفهي، فتنتقل عبر الأجيال عن طريق المنشدين المتنقلين والأطباء الشعبيين (Witch doctor) ورواة القصص والشعراء القبليين والشعراء الغنائيين المتنقلين، وكانت تقال أو ترتل على نغمة رتيبة وأحياناً تغنى، وفي البداية تأتي كتابة هذه الملاحم عن طريق الكتابة من المستمعين لما يقوله المنشد وأحيانا تأتي من مصادر أخرى فتصبح الملحمة نوعا أدبيا قائما بذاته، لكن تبقى الملحمة فناً يستعمل الطرق القائمة على التقليد الشفهي رغم كتابته، ونستطيع إذن أن نفرق بين الملاحم الابتدائية أي الشعبية والملاحم الثانوية أي الأدبية.

وبرغم اتخاذ مواضيعها من التاريخ إلا اننا نستطيع تفريق الملحمة باهتمام الكاتب بخلق عمل مرتبط بأحداث منطقية أو محتملة الحدوث وليس أحداث وحقائق تاريخية مثلما يعمل المؤرخ، فعلاقة الملحمة بالحقائق التاريخية تبقى إذن متغيرة بشكل كبير لدرجة أن القصيدة الملحمية تتضمن احيانا كثيرة بعدا مبهجا وسحريا فينتقل من التاريخ إلى الأسطورة ومن الأسطورة إلى التاريخ، وفيها يسمح الشاعر باستخدام العديد من الأشياء غير الحقيقية، ويستخدم أيضًا الصور البلاغية وبالأخص المبالغة؛ لأن القصيدة الملحمية يكون هدفها الأساسى هو مدح شعب أو بطل وطنى فيتغاضى الشاعر عن بعض العيوب، والحقائق التاريخية والحربية والفكرية؛ لكى يظهر الممدوح في صورة مثالية تصلح لتكوين الملحمة، وهذا التزيين للمدوح يعطى للعمل المزيد من الحياة ويكون الطابع الشعرى له، وترتكز القصيدة الملحمية على ضمير الغائب وتساهم في الوظيفة المرجعية للقصيدة، أي أنها ترسم

عالما وأحداثا، بينما أن القصيدة الغنائية ترتكز على مشاعر وعواطف ال"أنا" والالقصيدة الدرامية ترتكز على الحوار وال"أنت" فلا يجب على الشاعر وضع نفسه في الأمام أو الظهور في الصورة بل إن عليه الاختفاء القصة والشخصيات الموجودة في القصيدة.

******

سادساً: الفن القصصي

حكايات قصيرة تقدم درسًا أخلاقيًا، وأكثر شخصياتها من الحيوانات أو الأشياء الناطقة التي يمكنها التحدّث والتصرف كالإنسان، ومن أشهرها في القرن السابع عشر الميلادي حكايات يعسوب للكاتب الفرنسي لافونتين، ويُعدُّ الفنّ القصصي أكثر أنماط أدب الأطفال انتشارًا، ويشمل قصص الخيال (الحكايات الخرافية) والمغامرات والحيوانات، وقصصًا تصف كيف يعيش الناس في البلاد الأخرى، وقصصًا تاريخية، وأخرى ذات حيل بوليسيّة بجانب قصص الخيال العلمي والقصص التي تتناول مشكلات اجتماعية أو شخصية، وعادة يكون الأطفال هم أنفسهم أبطال هذا النوع من القصص، وللفن القصصى نوعان:

منها ما هو خيالي ومنها ما هو حقيقي، فالقصة الخيالية تكون الشخصيات فيها من نسج خيال الكاتب، فليس لها وجود حقيقي، وقد تكون القصة ذات طابعٍ رومانسي يصور بطولات الفرسان ويصف العلاقات السامية والأخلاق النبيلة، ومن القصص ما يكون اجتماعيا يتحدث فيها الكاتب عن قضايا المجتمع المختلفة، وهناك قصص الخيال العلمي التي ليس لها علاقة بالواقع فهي عالمٌ خياليٌ بحت، ومن القصص ما يتناول أحداثاً واقعيةً معلومةً زمانيا ومكانيا ويمثلها أشخاصٌ واقعيّون، مثل سِيَر الملوك والحكام، والقصص التاريخية، وقصص التراث القديم، وتشتمل الغاية من القصة على تحقيق الفائدة من خلال طرح المشكلات التي تواجه المجتمع واقتراح الحلول لها.

كما تكشف أحداث القصة عن أمور دقيقة يهتم لها القارئ لكنه يعجز عن تفسيرها، كما تحقق القصة المتعة من خلال طريقة بنائها وتسلسل أحداثها، والإبداع في سرد أحداثها ورسم شخصياتها، بالإضافة إلى شد انتباه القارئ، أما عن القصة العربية تحديداً فقد تطورت بشكل كبير حديثاً تبعاً

لاتصال الثقافة العربية مع الثقافة الأجنبية، بالإضافة إلى التطور السريع في وسائل الاتصال ووسائل الإعلام، حيث أصبحت القصة العربية أداةً إعلاميةً معاصرة، بالإضافة إلى زيادة ترجمة العديد من القصص العربية من قِبَل الغرب وتزايد عدد الكتاب العرب من مختلف الأقطار العربية.

وتعريف القصة القِصَّةُ في اللغة هي عبارة عن حكاية مكتوبة مستمدة من الواقع أو الخيال أو من الاثنين معاً، وتكون مبنية على أسس معينة من الفن الأدبي، وجمعها قِصَص، والقصة بمفهومها المعاصر هي تسجيل لما يحدث في فترة معينة من الفترات، سواء كانت أحداثاً كثيرةً أم حدثاً واحداً، وتكون هذه الأحداث قد تركت أثراً في نفس الكاتب؛ الأمر الذي دفعه إلى كتابتها، وقد تكون هذه الأحداث واقعةً خلال فترة طويلة فتشكل ما يسمى بالرواية، أو فترة زمنية متوسطة فتشكل ما يسمى بالقصة، أو تكون الفترة قصيرة فتشكل ما يسمى بالقصة القصيرة، وتحتوي القصة على حوادث نقلها الكاتب من الحياة الواقعية ونسقها بشكل فنيٍ وأدبيٍ وبطريقةٍ تميزه عن غيره من الكتاب الآخرين.

والجدير بالذكر أن بعض الأحداث المذكورة في بعض القصص تكون مُختلَقةً ومن نسج الخيال مع عدم خلوها من دلالات تمس الواقع بشيء ما، كأن يخترع الكاتب أحداثاً وشخصياتٍ ليرسم صورة مستقبلية لأمور واقعية لا يمتلكها الأفراد، أما براعة الكاتب فتكمن في عرض الأحداث وتنسيقها لتقديم قصة تتسلسل أحداثها بطريقة تجذب القارئ لها، ولتتماشى الأحداث والشخصيات مع الغاية التي يرجوها الكاتب من تأليفه لتلك الرواية أو القصة، وتصف القصة مرحلةً معينة من مراحل الحياة تبدأ بنقطة معينة وتنتهي عند نقطةٍ أخرى وبشكل تفصيلي سواء كانت هذه المرحلة متعلقة بشخص واحد أو عدة أشخاص.

وعلى الرغم من الاختلافات الواقعة بين الكتاب والنقاد على تعريف القصة إلّا أنهم أجمعوا على أنها فن نثري أدبي يتناول مجموعة من الوقائع والأحداث التي تقوم بها مجموعة من الأشخاص في بيئة معينة وتبدأ من نقطة وتنتهي بغايةٍ ما، وتصاغ هذه الأحداث بأسلوب أدبي معين، كما أجمع النقاد على وجود عناصر محددة للقصة يجب أن تتوافر لنجاحها وهي الأحداث، والشخوص، والزمان، والمكان، والسرد، ويمكن القول إنّ القصة من الفنون الأدبية التي تعبر عن أمور الحياة اليومية ومشكلاتها، وهي تلبي حاجات الإنسان الاجتماعية والنفسية بسردها للأحداث والوقائع، حيث تأخذ ناحية معينة تتوقف على طريقة سرد القاص للأحداث وعلى استخدام مخيلته في الكتابة.

****

سابعاً: قصص الحيوانات

وهي تُعبّر عن صلة الحب بين الإنسان والحيوان، وهي أطول وأكثر تنوعًا، وقد كانت: «خرافات أيسوب» من بين أوائل الكتب التي طبعها كاكستون، كما أن هناك العديد من الحيوانات في القصص الشعبية والخيالية والنصوص الدينية.

وقد استخدم كتَّاب القرن الثامن العشر الحيوانات لتعليم الأطفال المسئولية تجاه الاعتناء بالعالم الذي يعيشون فيه — كما هو الحال في قصة «تاريخ عائلة طائر أبو الحناء» (١٧٨٦) للكاتبة سارة تريمر — وكذلك واجباتهم كأطفال ورعايا في القصص الأخلاقية كما في قصة «حياة وجولات فأر» (١٧٨٣) للكاتبة دوروثي كيلنر، لقد كانت قصة كيلنر نقطة الانطلاق لتقليد جعل الحيوان يروي أحداث حياته بنفسه؛ مما أدى إلى ظهور جنس أدبي فرعي انحدرت منه بعض الأعمال البارزة مثل قصة «الجمال الأسود» (١٨٧٧) لآنا سويل، وقصة «بن وأنا: جانب من الحياة الرائعة لبنجامين فرانكلين مع فأره الطيب آموس» (١٩٣٧) لروبرت لاوسون.

وهناك قصص الحيوان الطبيعية مثل رواية الكاتب جاك لندن «نداء البرية» (١٩٠٣)، والقصص التي تخلع على أبطالها من الحيوانات صفات بشرية إلى حدٍّ بالغ، مثل رواية «الريح في أشجار الصفصاف» (١٩٠٨) لكينيث جراهام، وقصص الحيوان الخيالية مثل قصة «النمر، النمر» (١٩٩٦) لميلفن بيرجس، والتي تدور أحداثها حول أنثى نمر تمتلك قدرات خارقة للطبيعة تحمي نوعها من الانقراض من خلال تحويل صبي صغير إلى نمر ذكر يتزاوج معها، وكما توضح الأمثلة السابقة، فإن كُتَّاب قصص الحيوان يجعلون الحدود بين الحقيقة والخيال ضبابية بصورة حتمية تقريبًا؛ وذلك نظرًا لأن هذا النوع القصصي يتطلب منهم تقديم أفكار الحيوانات بلغة البشر.

وفي المراحل الأولى من النشر التجاري على وجه الخصوص، كان هناك شعور بالقلق الكبير بشأن مثل هذه الأساليب الخيالية على أساس أنها قد تصعِّب على الأطفال التمييز بين الحقيقة والخيال، وبالرغم من اعتماد قصص الحيوان على أسلوب الحيوانات المتكلمة الخيالي، فإنها تعتبر جنسًا أدبيًّا أساسيًّا في أدب الأطفال منذ القرن الثامن عشر.

لقد طُرِحَ العديد من الأسباب للاستخدام الشائع للحيوانات في أدب الأطفال، على سبيل المثال، يشير النقاد إلى أوجه التشابه في المنزلة بين الأطفال والحيوانات، والتي تجعل من الحيوانات نقاط تطابق فعالة بالنسبة للقارئ الصغير، والحيوانات المستأنسة على وجه التحديد قد تشارك الأطفال بعض أوجه الشبه؛ حيث إنها ضعيفة نسبيًّا، ولا يمكنها التعبير عن نفسها، ومغلوبة على أمرها مقارنةً بالكبار، في حين أن هناك رأيًا آخر يرى أن الظهور المتكرر للحيوانات في قصص الأطفال والصغار يُعزَى إلى أن نقل الموضوعات التي قد تكون مزعجة — مثل الموت والجنس والعنف وسوء المعاملة — من عالم الإنسان إلى عالم الحيوان يجعل التعامل معها أكثر سهولة.

وهذه النوعية من الفصل يمكن أن تعمل بأشكال شتى، فعلى سبيل المثال، منح الحيوانات قدرة الإنسان على الكلام وعقلانيته يمثل مرآة تعكس سلوكياتنا؛ مما يمكِّن القراء الصغار من فهم أساليب مثل الهجاء أو استيعاب النقد السياسي، وتقدم فكرة الشياطين من الحيوانات في رواية «مواده المظلمة» لفيليب بولمان وجهًا مختلفًا لهذه الوظيفة للحيوانات في أدب الأطفال؛ حيث تُظهر جوانب من الطبيعة الداخلية لشخصيات الرواية، وفي حين أن الشياطين التي تظهر في صورة إنسان ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالنوع والميول الجنسية، فإن الشخصيات الحيوانية تُستخدم غالبًا بدقة لتقليص

الحاجة إلى الإسهاب في موضوعات مثل السن والنوع والطبقة والانتماءات العرقية.

هذه الوظيفة يمكن أن تكون مفيدة على وجه الخصوص بالنسبة للرسامين الذين يرغبون في تجنب توضيح هذه المعلومات.

من المهم أن تتذكر أن تصوير العلاقة بين الأطفال والحيوانات خارج كتب الأطفال غالبًا ما يكون مختلفًا تمامًا عن ذلك الموجود في قصص الحيوان الموجهة للأطفال، فهناك — على سبيل المثال — القليل من الإحساس بالتعاطف بين الأطفال والحيوانات في رواية ويليام هوجارث المؤثرة «المرحلة الأولى من القسوة»، وحتى معظم أدب الأطفال في القرن التاسع عشر يتضمن توجيهات بعدم إيذاء الحيوانات أو سرقة البيض من عشش الطيور خاصة لأن ذلك كان سلوكًا شائعًا بين الأطفال.وتحكي قصة الكاتبة الكندية شيلا بيرنفورد الرحلة التي لايصدّقها العقل رحلة كلبين في براري كندا للوصول إلى الناس الذين يحبانهم، ومن هذا الضرب أيضًا قصص تُقدّم معلومات عن الحيوانات مثل صرخة الغراب التي كتبها كريج هد جورج.

****

ثامناً: قصص الخيال العلمي.

توصلت نتائج بعض الدراسات إلى أن الخيال العلمي له أهميات كثيرة تتمثل في:

١- إن استخدام الخيال العلمي في التدريس ينمى الخيال لدى التلاميذ، وبالتالي يزيد دافعيتهم للتعليم.

٢- إن الخيال العلمي يساعد في تحديث طرق التدريس.

٣- إن قصص الخيال العلمي وراء التطورات في المعرفة العلمية والابتكار التكنولوجي.

ويتضح أيضا أن الخيال العلمي هو لغة العصر وأهم وسائل العصر الحاضر اليت يمكن عن طريقها إعداد الأفراد للمستقبل.

مراحل الخيال عند الأطفال:.

١- المرحلة الأولى يكون الإحساس بالجمال هو الطريق الذهبي للمعرفة.

٢- المرحلة الثانية يكون الاقتراب المناسب منا لواقع عن طرق التساؤل عن السبب وجود الأشياء.

٣- المرحلة الثالثة، فيبدأ الطفل في التعبير عن رؤيته الأولى لعالم الأشياء كما هو موجود في الواقع.

ويعبتر التخييل أحد أشكال التفكير الأساسية، التي يتمكن الطفل من خلالها من تمثل الواقع داخل نسقه التصوري، فالتعقيد أو التركيب المتضمن في خبرات الكبار التي يريدون نقلها للطفل وكذلك ما يشتمل عليه عالمهم من تكنولوجيا ومعلومات ، كل ذلك يمكن توصيله إلى الطفل بشكل تدريجي من خلال التعليم المنظم، وأيضًا من خلال اللعب الرمزي الذي يقوم التخيل فيه بدور كبير، والتخيل يقوم من خلال الألعاب الرمزية للأطفال بإتاحة الفرصة لخفض التوترات والتعبير عن الافكار والمشاعر والاندفاعات حيث إن الطفل

عن طريق التخيل خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة يخلق لنفسه عالما وهميا يحقق له رغباته التي لا يستطيع تحقيقها في عالمه الواقعي ومن ثم يصبح التخيل صمام أمن الطفل النفسية ، فهو يخفف من التوتر النفسي ويقلل من مشاعر النقص والعدوان والغيرة.

كما أن التخيل يقوم بوظيفة إحداث التكامل في الشخصية، فاللعب الرمزي الخيالي لدى الأطفال ليس فقط وسيلة لخفض التوتر والحصول على معلومات جديدة، لكنه أيضا يقوم بإحدث التكامل بين المزاج اشخصي والدافعية والذكاء والموهبة، ومن ثم فهو وسيلة لتحقيق الذات أو للوصول غلى صورة مناسبة حو لهذه الذات.

****

تاسعاً: قصص الخيال

وهي تصوّر أُناسًا وحيوانات لاوجود لها في دنيا الواقع، ومن أشهرها رواية لويس كارول، مغامرات أليس في بلاد العجائب، ورواية الأمريكي فرانك بوم ساحر أوز العجيب.

عاشراً: القصائد الشعبية

تحكي قصة مسرحية في قالب شعري، ومن أشهرها في إنجلترا في القرن الرابع عشر الميلادي روبن هود الذي كان صديقًا للفقراء والمساكين.

حادى عشر: قصص المغامرات

هي ضرب من الحكايات المشحونة بحوادث عن أبطال جسورين وأوغاد مخادعين، يجدون أنفسهم في مواقف أكبر من الحياة اليومية. وتُعدّ رواية روبرت لويس ستيفنسن جزيرة الكنز من أشهر قصص المغامرات، وقد استطاع بطلها الصبي جم هوكنز أن يصبح ندًا للقرصان لونج جون سلفر، وهو من أشهر شخصيات هذا اللون من القصص.

ثانى عشر: قصص البلاد الأخرى

يُشبع هذا اللون من القصص فضول الأطفال عن حياة الناس في تلك البلاد، وهو أيضًا يساعدهم على تعرّف أوجه التشابه والاختلاف بين الشعوب، فقصة موكاسا (١٩٧٣م) مثلاً للكاتب جون ناجندا تحكي عن ذكرياته في أوغندا.

ثالث عشر: القصص البوليسية

وهي لم تَعد تستهوي الكبار فقط بل وجدت رواجًا عند الأطفال أيضًا، وقد ساهم كثير من الكتاب في إثراء أدب الأطفال بقصص الغموض والحبكة البوليسية حين جعلوا أبطال هذه القصص أطفالاً أذكياء.

رابع عشر: القصص الاجتماعية

وهي قصص تُعنى بموضوعات اجتماعية ومشكلات شخصية، وقد عالجت قصص الأطفال هذا الأمر بواقعية شديدة ما تطرَّق إليها أحد في كتب سابقة إلا نادرًا.

خامس عشر: قصص السِّيَر

وهي تعرِّف الأطفال بحياة العظماء من الرجال والنساء الذين حقَّقوا بطولات أو اكتشافات مهمَّة. ويقوم معظمها على قصص حقيقية، كتبت بأسلوب مُشوّق.

سادس عشر: كتب المعلومات

هي أعمال غير قصصية، لكنها تُقدّم للطفل عجائب العلم وجمال الفن مثل الموسوعات وغيرها، وقد انتشرت هذه الكتب منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري، العشرين الميلادي.

والخلاصة: إن القيمة التربوية لما سبق مشروطة بتوفّر عوامل عدّة فيها، أهمها:

. إمكانية وصولها للطفل، خفّتها، لغة سردها البسيطة.

. موضوعها القريب من عالم الطفل، ووجود أنموذج البطل القادر دائماً على الانتصار.

. الشمول، والاكتمال في الحالة التي ترسمها الحكاية.

. انتصار الخير على الشر، مايجعل الطفل يشعر بأنه محمي وفي أمان.

إن أبطال الحكايات الشعبيّة ذات الطابع الإنساني، هم شخصيّات فريدة، محبوبة، هم أقوياء، وشجعان ومقدامين، ولطفاء، يخفّون دائماً لتقديم المساعدة في المواقف الصّعبة، وينصرون الضعفاء ويهزمون الأعداء، وهم في الحكايات السحريّة أبطال لاتحرقهم نار، ولاتغرقهم مياه، تساعدهم في ذلك وسائل كثيرة، منها بساط الريح، وماء الحياة، ومردة يخرجون من

مصباح علاء الدين، أو من قمقم أو خاتم وما إلى ذلك. وبالتالي فهؤلاء الأبطال يحرّضون لدى الطفل الرّغبة في مساندتهم، والتحلّي بصفاتهم ومزاياهم، فينبذ الكسل والخمول ويبدأ بالإيمان بالمعجزات وقوّة الإرادة، وأنّ لاشيء مستحيل، ويشعر أن إمكاناته غير محدودة، ويتحرّر من المخاوف: (أنا أستطيع.. أنا لاأخاف.. أنا قادر...) فيكتسب الطفل من مثل هذه الحكايات قيماً جماليّة عديدة "الجمال، البطولة، التفوّق، السعادة...".

وفي الحكايات الساخرة والواقعية يتعرف الطفل أيضاً إلى مقولات جمالية مختلفة "كالفكاهة، والبطولة، والنبل والسفالة..."

ومن خلال الحكايات يبدأ الأطفال بالإحساس بالزمان والمكان واستيعابهما: في البداية فنياً، ونفسياً، ثم فيزيائياً، فالإحساسُ بالزمن يتم التعبير عنه من خلال عبارات اعتيادية في الحكاية مثل: في قديم الزمان، مرّ وقت طويل، انسابت مياهٌ كثيرة، استغرق وقتاً طويلاً، أو قصيراً الخ... وكلما كان الطفل أصغر سناً، انساب الوقت بالنسبة له أكثر بطئاً، إنه يعيشُ دون زمن، مثله مثل الحكاية نفسها.

والمكان أيضا غير مرئي: جبال، غابات، سهول، سماوات، مياه، ويتم التعبير عن الإحساس بالمكان في الحكاية من خلال عبارات مثل: في إحدى الممالك، في إحدى الدول (دون تحديد، وبإطلاق)، وعبارات مثل: في السهول، في الجبال، في المروج الخضراء (فضاءات طبيعية)، في القصر، في المغارة، في الخان... الخ (فضاءات واقعية ضيقة...)

إن الدور الذي تؤديه الحكاية في حياة الطفل كبير جداً، فهي تنمي قدرات الطفل على الحكي، وتركيز الانتباه، وتقوي مهاراته اللغوية إن تم القص بالعربية الفصحى البسيطة، وهي تساعده على الربط بين الواقع والخيال وتنمي الحوار بين الطفل وأبويه وتنمي لديه مهارة الاستماع وآدابه من مثل عدم المقاطعة، والإجابة بشكل مرتب وبعد طرح سؤال محدد، وهي

تعمل أيضاً على تعميق الرابط بين الأشقاء في الأسرة، لاشتراكهم في سماع الحكايات نفسها في الآن نفسه ومناقشتها، أو إعادة سردها فيما بينهم.

كما أن هذه الفوائد تصبح أكبر حين تقوم الأم نفسها بعملية القص، عندها تصبح لحظة السرد هي لحظة تفاعل مابين الأم وطفلها، لحظة اندماج فيما بينهما تختفي أثناءها عصبية الأم وتتوقف أوامرها ونواهيها وإرشاداتها، وكذلك يزول تمرّد الابن، لتحلّ محل كل ذلك روح الود والصفاء والحميمية، وتنتهي بنوم الصغير هانئاً سعيداً، ولاسيما حين تحسن الأم اختيار الحكاية، التي تبعث الاطمئنان والثقة في النفس، وتبتعد عن الخيالات المفزعة والموضوعات المرعبة، ويشمل حكايات الجنّ والأقاصيص الشعبية والأساطير والملاحم والمواويل، ويعجب الأطفال بهذا الأدب بفضل أُسلوبه المباشر البسيط، ووصفه المعارك، وأبطاله النابضين بالحياة، ولحسِّ الفكاهة التي يزخر بها، هذا الأدب يعكس قيم الأسلاف وأخلاقهم.

****

الفصل الثاني
أدب الأطفال الشعبي

المبحث الأول

مفهومه، حدوده، مجالاته، مسئولياته[1]

عُرّف الأدب الشعبي بتعريفات كثيرة، وقدمت فيه مفاهيم عديدة، منها:

١- الأدب الشعبي لأمة من الأمم ما هو إلا أدب عاميتها الشفاهي المجهول المؤلف المتوارث جيلا بعد جيل، وهذا المفهوم أدى بالبعض إلى أن يتساءل عن موقف العامي الحديث الذي تنشره وسائل النشر الحديثة، وموقعه على خارطة هذا التعريف، خاصة أنه غير مجهول المؤلف، وغير متوارث، وأنه مكتوب في أغلب الأحيان، وقد أدى هذا التساؤل إلى إيجاد التعريف التالي.

٢- الأدب الشعبي: هو الأدب العامي سواء أكان شفاهيا أم مدونا أم مطبوعا، وسواء أكان مجهول المؤلف أم معروف، وسواء أكان متوارثا عن السلف أم أنشأه معاصرون معروف، فالمهم في هذا التعريف اللغة العامية التي يؤلف بها هذا الأدب. وقد وجّه إلى هذا المفهوم انتقادات واعتراضات، لعل أهمها: أن هذا المفهوم يُدخل أشياء كثيرة لا تمثل الشعب(العامة) في مجموعه ولا تعبر عن وجدانه ولا تلائم اتجاهاته وأفكاره؛ لسبب بسيط هو أن هذه الأشياء قد ألفت بالعامية، ولا ينظر هذا التعريف إلى أن العمل الشعبي لا يستوي أثرا فنيا إلا بعدما يتفق وذوق الجماعة، ويجري على عرفها، ويعبر عن مشاعرها، ومن ثم وجد التعريف التالي.

٣- الأدب الشعبي: هو الأدب المعبر عن مشاعر الشعب وأحاسيسه، المستهدف منه تقدمه الحضاري، الراسم لمصالحه، يستوي فيه أدب الفصحى وأدب العامية، والأدب الشفاهي والأدب المطبوع، والأثر المجهول والمعروف

[1] - من مقال لأستاذنا الدكتور: غريب محمد على، رحمه الله رحمة واسعة.

المؤلف، وقد عيب على هذا التعريف أنه يقوض الفواصل ما بين الأدبين الفصيح والشعبي، ويترك أمر الفصل بينهما لمزاج الدارسين وأهواء القارئين، فبينما يرى البعض أن هذا النموذج أدب شعبي، فإذ يراه الآخرون أدبا رسميا ذاتيا لمجرد أن هذا الادب يعبر عن المشاعر الشعبية والأحاسيس الجمعية، ولكن يمكن أن نخرج من خلال التعريفات السابقة بتعريف نراه في اعتقادنا جامعا شاملا لمفهوم الأدب الشعبي، وهو:

الأدب الشعبي: هو الأدب المعبر عن وجدان الشعب وأحاسيسه، الممثل لمستوياته الحضارية واتجاهاته المتعددة، وهو متوارث جيلا بعد جيل، وليس شرطا أن يكون مجهول المؤلف، وهو في الأغلب الأعم شفاهي عامي.

العرب ومصطلح الأدب الشعبي:

على الرغم من أن مصطلح الأدب الشعبي مؤلف من ألفاظ عربية خالصة صرفة، فإن العرب القدماء لم يلفظوا به، وإنما هو من ابتكارنا نحن عرب العصر الحديث، ولا يبعد أن تكون العبارة قد جرت على ألسن بعض القدماء، ولكنهم لم يكونوا يقصدون هذا المفهوم الذي نقصده في العصر الحديث، والحق أننا استعرنا هذا المصطلح أو تلك العبارة من الكلمة الغربية(Folklore)، وهذه الكلمة مكونة من مقطعين(Folk)بمعنى الناس أو الشعب، و(lore)بمعنى معرفة أو حكمة، أي" معارف الناس أو حكمة الشعوب"، وقد ترجمها مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى مصطلح "المأثورات الشعبية".

نشأة مصطلح الفولكلور ومفهومه:

يرتبط مصطلح الفولكلور من الناحية التاريخية ومن ناحية ابتداعه بالعالم الانجليزي(**وليم جون تومز**)، فهو أول من صاغ هذا المصطلح ليدل

به على دراسة العادات المأثورة والمعتقدات، وما كان معروفا بالآثار القديمة، وكان ذلك سنة ١٨٤٦م، كما يرتبط هذا المصطلح بجمعية الفولكلور الانجليزية التي تأسست سنة١٨٧٧م ، التي كان من أهدافها جمع ونشر المأثورات الشعبية والأغاني الروائية الأسطورية، والمعتقدات الخرافية، والعادات القديمة، وقد أشار التقرير الأول لمجلس هذا الجمعية إلى أن الفولكلور يمكن أن يطلق على كل ما يشمل جميع ثقافة الشعب، التي لا تدخل في نطاق الدين الرسمي ولا التاريخ، وأشارت هذه الجمعية فيما بعد إلى ان الفولكلور هو دراسة مخلفات الماضي الذي لم يدون، وقد رجّح بعض العلماء ان الفولكلور هو ترجمة للكلمة الألمانية(Volkskunde) "فولكسنكده"، ويدعى هؤلاء أن الكلمة كانت موجودة منذ عام ١٨٠٦، ومنذ ذلك التاريخ بدأ العلماء يقدمون تعريفات عديدة لهذا المصطلح(الفولكلور)، منها:

- البحث في الثقافة الشعبية.
- فحص الموروثات في الثقافة الشعبية.
- دراسة نفسية الشعوب.
- دراسة القرويين ومأثورتهم.
- دراسة الناس.
- فحص الحياة الشعبية ودراستها.
- دراسة مخلفات الماضي الذي لم يدون.
- علم الموروثات من العادات البدائية والمعتقدات.
- الموروثات غير المدونة.
- بقايا القديم وثقافة ما قبل التدين.
- جميع العقائد الشعبية القديمة والعادات.
- الجانب المأثور من الثقافة الشعبية.

- الثقافة التي انتقلت مشافهة.

ولعل أحدث تعريف للفولكلور هو: المأثورات الروحية الشعبية، وخاصة التراث الشفوي، وهو العلم الذي يدرس هذا التراث"، وهذا التعريف يساير ما وضعه"وليم حون تومز" في سنة ١٨٤٦م، حين قال: إن الفولكلور هو: القائد المأثورة وقصص الخوارق والعادات الجارية بين الناس، وبناء على أحدث التعريفات فإن اهم مقومات الفولكلور: الناس والتراث، ويجب ان نلاحظ أن ليس ثمة فارق كبير بين مفهوم الأدب الشعبي، ومفهوم الفولكلور، فغالبا ما يسمى الأدب الشعبي بالأدب الفولكلوري.

حدود ومسئولية ومجال الأدب الشعبي:

كان أول من نادى بضرورة استقلال علم الدراسات الشعبية الباحث الألماني "**ريل**"، الذي يعد مؤسس الفولكسنده العلمية الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبمجرد أن صنع"ريل" ذلك، بدأ الباحثون يغوصون في مشكلات هذا العلم ويتجادلون حولها، وكان من البدهي أن يتساءل الباحثون حول حدود ومجالات ومسئوليات هذا العلم، خاصة بعد أن استقل عن علم الحضارة والاجتماع وعن علم الأنثربولوجيا، الذي يعني دراسة الإنسان أو أصول الحياة الإنسانية، وعلم الأنثولوجي الذي يعني علم الإنسان أو دراسة الإنسان ككائن ثقافي، وهو الدراسة المقارنة للثقافة، وكان يقصد به إلى وقت قريب الدراسة التاريخية ومقارنة الشعوب البدائية، وعلم الأنثوجرافيا الذي يقصد به وصف الشعوب عامة وعاداتها وتقاليدها.

ويقصد به في بعض البلدان الأوربية(فنلندا) دراسة الثقافة المادية. من الباحثين من تحدث عن مسئولية هذا العلم(الأدب الشعبي) بصفة عامة، فذكر أن مهمته الأولى هو دراسة الشعوب المعاشة أي الحاضرة من جميع جوانب حياتها، ودفعهم هذا إلى السؤال عن مفهوم الشعب، وهل الشعب يعني جميع الطوائف؟ أم يعني طبقة بعينها؟ ومن هنا انقسم الدارسون آراء

وشيعا، فمنهم من قال: إن القطاع الشعبي الذي يدرسه علم الدراسات الشعبية هو الذي يعيش مرتبطا بالأرض الأم، وهي تلك الأرض التي تنشأ عليها جميع الطوائف ثم تبتعد عنها بعد ذلك، ومنهم من رأى أن الشعب هو الطبقات الدنيا، ومنهم من ذهب إلى أن الشعب هو الجزء المحافظ في داخل الحضارة، ومن من قال إن الشعب هو المجتمع الصغير المنعزل الأمي المتجانس الذي يؤلف بينه إحساس قوي بالتضامن الجماعي، ومنهم من ذهب إلى أن الشعب الذي ينسب إليه التراث الشعبي هم العامة من الناس القرويين، أو سكان الريف بصفة عامة، وأيضا الطبقات الشعبية في المدن، ومن الباحثين من عارض ذلك كله ونادى بأن يكون الشعب كله بكافة مستوياته موضوعا للدراسة الشعبية، ومعيار الدراسة في هذه الحالة ما في الإنسان من قدر شعبي أيّا كان مستواه الاجتماعي أو الحضاري أو الثقافي، والحق ان الرأي الأخير هو أوجه الآراء وأكثرها قبولا، وحاول بعض الدارسين أن يحدد مجال الدراسة في هذا العلم، فذكر أن مجال الدراسة ينحصر فيما يلي:

١ – اللغة:

وتشمل اللهجات والأساليب، والتعبيرات الدارجة، وأشكال الإبداع الشعبي: أمثال وألغاز ونكات وحكايات وسير شعبية وموال وأساطير وخرافات وأهازيج ونداءات وبكائيات.

٢ – المعتقدات:

قسمها الباحثون إلى معتقدات حية ومعتقدات ميتة، أما الحية في التي ترتبط بالتصورات الشعبية وعلاقتها بشئون الحياة كالتفاؤل والتشاؤم والاهتمام بالسحر وأشكاله. والمعتقدات الميتة هي التي أصبحت أشبه بالطقوس التي يحرص الشعب على أدائها دون أن يفهم مغزاها أو السبب الأول في الاحتفال بها.

٣-الأعمال والحرف اليومية:

وأهم ما يلفت نظر الباحث فيها هو دراسة المادة التي يستخدمها الإنسان في حياته وأعماله والأدوات المستخدمة في هذه الحرف ونتاج هذه الحرف والأعمال في التراث الشعبي، وهذا النتاج يصبح متوارثا. والحق أن هذه الأعمال والحرف تحتاج إلى خلفية تاريخية واسعة. فحرفة النجارة وما فيها من أدوات لها أثر في التراث الشعبي، كأن نقول(باب النجار مخلع)، ومهنة الحدادة أيضا لها تأثير كأن نقول:(اللي يجاور الحداد ينكوي بناره)، وهكذا كل حرفة ومهنة وصناعة شعبية، وما لها من أدوات لها تأثيرها في التراث الشعبي.

٤- الشخوص والأمكنة والنباتات والحيوان والجبال:

وهذا مبحث واسع في علم الدراسات الشعبية لما يحتوي عليه من تصورات ومعتقدات وفنون قولية شعبية.

٥- العادات وما يتخلف عنها من إبداع شعبي:

وذلك مثل العادات المتعلقة بالميلاد والحمل والوضع والسبوع والزواج والوفاة والأعياد الدينية والقومية والمواسم الزراعية والمراسيم الاجتماعية(الاستقبال والتوديع والعلاقات الأسرية والمأكل والمشرب ومجالس العرب).

٦- المعارف الشعبية:

مثل الطب الشعبي، والسحر، والرقى.

****

المبحث الثاني
مناهج الدراسة والجمع ومشكلات العمل الميداني

أولا: مناهج الدراسة:

توجد عدة مناهج لدراسة الأدب الشعبي، أهمها:

١- المنهج التاريخي:

ساد هذا المنهج–في البداية– عملية جمع التراث الشعبي ودراسته، وهو يعين البحث عن الحضارة الاولى لشعب من الشعوب وما تخلف عنها من إبداع شعبي ما زال الشعب يحصّله ويرويه، وعلى الدارس حسب هذا المنهج أن ينبين أن الرواسب الاعتقادية المتبقية في هذا الإبداع، والتطور الذي أصابه، والتغير الذي اعتراه عبر التاريخ، وكان أول من استخدم هذا المنهج الاخوان جرم في ألمانيا حينما بحثا عن الحضارة الأولى للشعب الألماني خلال دراسة الحكايات والأساطير الألمانية القديمة.

وقد ادى هذا المنهج في دراسة الأدب الشعبي إلى دراسة لغوية، كما أدى إلى ضرورة البحث عن العادات والمعتقدات، وعيب عليه أنه لا يهتم بالبيئة وارتباطه بها وبيان أثرها فيه، ولا يوضح وظيفة هذا التراث وما يحمله من تعبير عن نفسية الشعب ومشاعره. لهذا كان لابد من مناهج أخرى فظهر المنهج الجغرافي.

٢- المنهج الجغرافي:

ظهر هذا المنهج كرد فعل للمنهج التاريخي، واستجابة لرغبة ملحة في دراسة حضارة الإنسان وارتباطها بالمكان، وتوضيحا لطبيعة البيئة التي تكوّن شعبا من الشعوب وتميزه عن غيره، وتبيان أثر البيئة في التراث الشعبي، ونتيجة لإدراك الباحثين لهذه الحقيقة، وهي أثر البيئة في التراث الشعبي؛

بدأوا بعمل ما يسمى بالأطلس الفولكلوري؛ ليتبينوا مقدار الاختلاف الذي يصيب شكلا من أشكال التراث الشعبي في أماكن مختلفة، ومقدار ما تلعبه البيئة في هذا التراث من تأثير، وترجع أهمية الأطلس الفولكلوري إلى أن يوضح مواقع انتشار الألوان المختلفة لهذا التراث، كما يبين مدى اختلاف اللون الواحد من مكان إلى مكان، بالإضافة إلى أنه يُظهر بعض الظواهر، ويخدم بعض العلوم المرتبطة بالتراث الشعبي، وفي سبيل هذا العمل وهو تدوين الظواهر الفولكلورية كان على الدارسين وفق هذا المنهج أن يوزعوا بطاقات على الجامعين الميدانيين ليسجلوا عليها هذا الظواهر الفولكلورية، ثم تسليم البطاقات إلى المكلفين لتوزيعها جغرافيا على خرائط حسب إشارات ورموز معينة يتفق عليها وتفسر على هامش الخريطة، والحق أن هذا المنهج ساعد على إبراز معالم الإنسان المرتبط بها. ولكن عيب على هذا المنهج عدم الاهتمام بالنواحي التاريخية، وعجزه عن تدوين كل أشكال التعبير الشعبي، وعدم قدرته على تفسير الظواهر الفولكلورية وبيان ما يصيب الظواهر الفولكلورية من تغييرات عبر العصور.

٣- المنهج الجغرافي التاريخي:

يجمع هذا المنهج بين دراسة التراث الشعبي تاريخيا وجغرافيا، وكان هدفه الاهتداء إلى الأصل الأول للون الشعبي زمانا ومكانا، وعيب على هذا المنهج أن لا يستطيع الوصول إلى أصل كل لون، وأنه لا يهتم بالراوي، ولا بتفسير الظاهر الفولكلورية نفسيا واجتماعيا، لهذا كان لابد من ظهور مناهج أخرى.

٤- المنهج النفسي:

يهتم الدارس – حسب هذا المنهج- بدراسة الرواسب الاعتقادية المتبقية من العصور البدائية التي تعيش مع الإنسان المتحضر إلى اليوم، ويقوم بتحليلها نفسيا؛ لتبين الدوافع الروحية والمعنوية لشعب من الشعوب وارتباطه

ببعض الأشياء نفسيا، ويبحث عن التجارب النفسية والعناصر المكونة للاشعور الجمعي والدافعة للإنسان إلى الوصول إلى ما يسمى بالنمط النموذجي، ومعنى هذا أن هذا المنهج يركز على الكشف عن التجارب النفسية الجمعية ومغزاها وعلاقتها بالحضارات الأولى، وكان أهم ما أثاره الدارسون وفق هذا المنهج موضوع(**الأرض الأم**)، وهم يقصدون بها الأرض التي نشأ عليها الإنسان البدائي في بداية حضارته، وارتبط فيها بمعتقدات معينة، ومن ثم أخذوا يبحثون عما ترسب في الفرد الشعبي من رواسب لهذا المعتقدات في ألوان التراث الشعبي.

والحق أن أصحاب هذا المنهج قد بالغوا في قيمته؛ حتى إنهم ادّعوا أن علم الدراسات الشعبية ما هو إلا علم الدراسات النفسية للشعوب، وكان من أظهر المدارس التي تخصصت في اتباع هذا المنهج وتطبيقه مدرسة(يونج تلميذ فرويد)، ولكن هذا المنهج لم يستطع أن يستقل بنفسه، بل استعان أصحابه بدراسات أخرى تساعدهم على تحقيق ما يصبون إليه، كما أنهم لم يجهدوا أنفسهم في تحديد المجتمع الشعبي مجال الدراسة، ولم يهتموا بالتراث الشعبي زمانيا ومكانيا واجتماعيا.

٥- المنهج الاجتماعي:

يركز أصحاب هذا المنهج على البحث عن البيئة التركيبية للمجتمع الشعبي وعلاقاتها بالتراث الشعبي وحملة التراث، وقد اهتموا في دراساتهم بالقرية ومجتمع الفلاحين؛ لأنهم يمثلون مفهوم الجماعة التي ترتبط باللغة والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية، وتنمو نموا طبيعيا، ولا يربطها غرض سياسي أو هدف نفعي محدد، وقد فرضت عليهم طبيعة الدراسة حسب هذا المنهج الاهتمام بالعمل الميداني والتركيز عليه والاهتمام بحملة التراث؛ لانهم يعبرون عن وجود الجماعة والاهتمام بمراقبة عملية رواية التراث في ظل الظروف الاجتماعية المتغيرة، وفي كل الظروف، وكان أهم أصحاب هذا المنهج الباحثة الفنلندية(هيما جرانفكست)، وعيب هذا المنهج أنه ينقصه

البحث عن وظيفة التراث في حياة الناس؛ لذلك حول أصحابه الاستفادة من المنهج الوظيفي الذي بدأ يظهر إلى جانب منهجم.

٦- المنهج البنائي"المورفولوجي":

هو المنهج الذي يتعرض لدراسة اللون(الشكل- المضمون) الشعبي، بوصفه عملا كليا بعد تحليله إلى عناصره الصغيرة، والحق انه تعددت الاتجاهات في هذا المنهج، أو كثرت طرق تطبيقه في الدراسات الشعبية، ولكن يمكن حصر اهمها في اتجاهين، هما:

أ- اتجاه يهدف إلى وصف الشكل(اللون) الشعبي حسب التتابع الزمني للأحداث، ويعتمد على التسلسل والتكرار والتصاعد وربط الاحداث ببعض في شكل حلقات تؤدي كل حلقة إلى الاخرى، مع بيان السبب بالمسبب، وهذا ما يمكن تسميته بالاتجاه الأفقي، وقد سمي "**بالتحليل البنائي للتركيب**". وكان من أهم رواد هذا الاتجاه العالم الروسي(**فلاديمير بروب**)، الذي بحث عن مورفولوجية الحكايات الشعبية، والحق أنه اتجاه تجريبي يعتمد على الاستقراء والنظر إلى الشكل من الخارج.

ب- اتجاه يهتم بالاشتقاق اللغوي ومجموعة الألفاظ التي تدل على أصل واحد، وقد تزعمه(ليفي شتراوس)، الذي يهتم بالبحث في التركيب اللغوي، وقد توسع الباحثون فيما بعد، فأصبح هذا الاتجاه يعني بالبحث في الصيغ ذات التركيب اللغوي المتشابه ومجموعة التراكيب أو الألفاظ المترابطة كالمترادفات والمتضادات، ومعنى ذلك ان هذا الاتجاه يهتم بالنظر إلى النص من الداخل لا من الخارج، ويستخدم ما يسمى بالنظام الرأسي في ترتيب عناصر الشكل، وهو منهج تأملي استدلالي. ويتسم هذا الأمر بالتعقيد وعدم وضوح النتائج؛ ولذا ساد الاتجاه الأول في الدراسات الشعبية لسهولته، وعيب هذا المنهج أنه اهتم بالشكل دون الاهتمام بالنواحي النفسية والتاريخية كثيرا، وأمام كل هذه المناج حاول البعض البحث عن منهج يغطي جوانب النقص الموجودة في المناهج السابقة.

٧- المنهج الوظيفي التكاملي:

يعد هذا المنهج أحدث المناهج وأكثرها عقما، فلقد أدرك الباحثون أنه من الضروري الإفادة من المناهج السابقة والاستعانة بها، فإذا أراد الباحث أن يحقق نتائج علمية قيمة في دراسة الأدب العبي، فعليه أن يدرس ظواهره وأشكاله عبر التاريخ، وأن يقوم بتوزيع هذا الأشكال جغرافيا ، وهو في حاجة إلى علم النفس لتفسير هذا اللون، كما أنه يحتاج بالضرورة إلى البحث عن النواحي الاجتماعية لحياة الشعب الذي تعيش في بيئته تلك الإبداعات الشعبية، وأن يبحث عن الجوانب المورفولوجية لأي لون من ألوان التراث الشعبي، وعليه أن يسأل عن مهمة التراث ووظيفته في حياة الشعب، والحق أن الدارسين حسب هذا المنهج يراعون الزمان والمكان والحياة الاجتماعية والروحية والنفسية وبنية الشكل التراثي وتركيبه، كما يهتمون بالبحث عن العلاقة التي تربط بين حامل التراث والشعب، وعلى الباحث هنا ان يطرح عدة أسئلة: متى وأين وكيف ومن ولمن وما؟ ومن ثم يتميز هذا المنهج بالعمق والشمولية والتكامل وهو الآن أكثر المناهج قبولا.

ثانيا: مناهج جمع التراث:

على من يقوم ع التراث الشعبي أ يتهيأ لعملية الجمع بعجة أمور منها:

١- الاطلاع على المؤلفات والنشرات المتعلقة التي سيجمع منها، مثل: المجموعات الفلكلورية السابقة لعملية جمعه، والدراسات الثقافية والاجتماعية، والدليل السياحي، والنشرات الحكومية العامة، وتاريخ المنطقة(ميدان البحث)، ومعاجم اللهجات المحلية الخاصة بهه المنطقة.

٢- الاتصال بالجامعين الميدانيين السابقين والإفادة مما جمعوه.

٣- الإفادة من الوثائق، والأفلام الوثائقية الخاصة بالمنطقة.

٤- المعدات والتجهيزات(أجهزت تسجيل صوتية وفيديو).

وإذا استعد ، وأراد ان يبدأ عملية الجمع، فعليه أن يتبع منهجين، هما:

أولا: منهج الملاحظة:

وهذا المنهج يتطلب من الجامع الميداني ألا يقف على بعد من الناس يلاحظ سلوكهم وأعمالهم ومأثورتهم الشعبية، بل يجب أن يعيش مع الناس مراقبا كل ذلك وواصفا مناسباتهم، سواء أكانت هذه المناسبات رسمية(احتفالات الميلاد، الزواج، الوفاة) أو شبه رسمية(ما يروى من تراث شعبي) أو مصطنعة(كأن يقيم الجامع الميداني حفلا ويدعو فيه أهل الأدب الشعبي، وعلى الجامع أن يستغل هذه المناسبات فيدون أشكال التراث الشعبي الذي ريد جمعه، وعليه أيضا أن يترك الرواة يقولون ما يريدون، وأن يخرجوا ما لديهم من تراث بتلقائية وعفوية، ومن المفيد أن يعيش الجامع في مكان تتمركز فيه أنشطة أهل المنطقة، ويستغل بعض الأوقات التي تكثر فيها التجمعات، وتظهر فيه بعض الانشطة مثل أوقات خروج الناس إلى العمل وعودتهم.

ثانيا: منهج المقابلة:

ليس معنى هذا المنهج ان يجلس الجامع الميداني إلى الرواة يأخذ منهم أكبر قدر ممكن من المادة الشعبية التي يود جمعها، وإنما يضاف إلى ذلك محاولة استكشاف العالم الداخلي للفرد الشعبي(مشاعره وأحاسيسه ونفسيته، وحكمه على العمل الشعبي)، وذلك عن طريق طرح بعض الأسئلة غير المباشرة على الرواة وحاملي التراث، كأن يسأل عن وظيفة هذا التراث، والمغزى الذي يتضمنه، وأحاسيس الراوي تجاهه، ولماذا يحمله، وما اهميته عامة وأهميته بالنسبة له، وسبب تفضيل رواية على رواية، والظروف التي تمرس فيها الراوي على الرواية، وهل يصدق في هذا التراث أم لا، وسبب تفضيل لون على لون، وكيفية انتقل هذا اللون إليه؟ ويجب أن يسجل الجامع حسب هذا المنهج بعض المعلومات عن الراوي مثل: الاسم– السن– العنوان– مكان الميلاد– عدد أفراد الأسرة– تاريخ الأسرة– الأمكنة التي زارها، وأقام بها.

ومن المستحسن أن يختار الجامع بعض الأدلاء من أهل المنطقة، وأن يختار الرواة الذين يجمع منها المادة، وأن يهتم بالرواة الأكبر سنا، وأن يلاحظ الحياة الشعبية ومظاهر الفنون الشعبية فيها، ويلاحظ السلوك الاجتماعي للأفراد ويدون ملاحظاته كلما سنحت له الفرصة، وأن يدرك أن كل ما يسمعه له قيمة وأن ينصت جيدا للرواة، ويسجل النص بكل دقة.

مشكلات العمل الميداني:

يقابل الجامع الميداني بعض المشكلات، ويواجه بعض الصعوبات، أهمها:

١- مشكلة المناهج:

يجد الجامع الميداني مجموعة من المناهج فيحار في أي منهج يختار، فإذا ما جمع من الرواة تختلف أعمارهم، فإن ذلك يكون حسب المنهج التاريخي، وإن جمع من رواة عديدين من مناطق مختلفة، فإنه بذلك يتبع المنهج الجغرافي، وإن جمع من رواة مختلفي الأعمار وأماكن متعددة فإنه سيتبع المنهج التاريخي الجغرافي، وإذا دون مدى استجابة الشعب للون من ألوان التراث وحاول تفسيره نفسيا، يكون بذلك قد سار حسب المنهج بالنفسي، وإذا وصف الحياة الاجتماعية وتحدث عن البنية التركيبية للمجتمع وعلاقتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فسيتبع بذلك المنهج الاجتماعي، وإن حاول تحليل النص التراثي وبنيته فإنه يتبع المنهج البنائي، وبذلك يكون أمام مشكلة والحق أن حلها صار سهلا يسيرا، وهو ضرورة اتباع المنهج الوظيفي(التكاملي) الذي يجمع بين ميزات المناهج كلها مضيقا إليها أهمية التراث ووظيفته.

٢- مشكلة الرواة:

وهنا يسأل الجامع نفسه هل يجمع من راوٍ واحد أم رواة عديدين؟ وهل يجمع من الرواة كبار السن أم صغار السن؟ وحل هذا الإشكالية هو ألا يكتفي الجامع بارو واحد أو برواة مسنين على أساس ان هؤلاء هم حملة

التراث الأصليون؛ بل عليه أن يتتبع عملية انتقال الرواية في أعمار مختلفة، يبدأ فيها من المسن حامل التراث حت يصل إلى الصبي الذي تستهويه عملية الرواية، فيأخذ في تحصيلها أملا في ان يصبح راويا متمكنا فيما بعد، فيجمع من الكبير والصغير ومن الرجال والنساء على حد سواء.

٣- مشكلة التراث وجمعه في عصر التكنولوجيا:

يرى البعض أن التكنولوجيا صارت شبحا مخيفا يهدد التراث الشعبي بالانقراض، ولذا يجي الإسراع في جمع ما تبقى منه، ويرى آخرون أن مفهوم التراث قد انتهى بسبب التطور الذي أصاب الحياة في كل مظاهرها، ولكن حل هذه المشكلة يكمن في عدة أمور منها:

١- أن نخلع عن أنفسنا الاعتقاد بان التراث الشعبي مهدد بالانقراض في عصور التكنولوجيا، فالتراث سيظل باقيا وعلينا أن نلاحظ التغيير الذ يصيبه من جراء التقدم.

٢- دراسة القديم والجديد، وملاحظة ما طرأ عليه من تطور، وتسجيل ذلك بكل دقة.

٣- المبادرة بجمع وتسجيل التراث من المسلمين وغير المسلمين.

٤- عدم العزوف عن جمع الروايات المتعددة والمختلفة.

٥- عدم الاقتصار على الأرياف.

٦- الاستعانة بجهد الطلاب من خلال الجمع الميداني.

٧- توظيف التقنيات الحديثة في حفظ التراث وتدوينه.

الأغنية الشعبية

تحتل الأغنية مكانا بارزا بين ألوان الإبداع الشعبي في مجتمعنا وفي غيره من المجتمعات، ولعل ارتباطها بالمناسبات العامة والخاصة التي يحتفل المجتمع ومسايرتها لدورة الحياة التي يمر بها الإنسان كان له أكبر

الأثر في انتشارها وازدهارها واحتفاظ المجتمع بها وترديده لها، وتختلف الأغنية الشعبية عن غيرها من عائلة المأثورات الشعبية في أنها تتكون نتيجة امتزاج وتزاوج النص الشعري مع اللحن الموسيقي، والحق أن مصطلح الأغنية الشعبية يعد واحدا من المصطلحات الحديثة التي دخلت إلى اللغة العربية كترجمة للمصطلح الألماني(Volklied) والمصطلح الانجليزي(Folksong)، وقد انتشر هذا المصطلح منذ أن وضع العالم الألماني (هردر) سنة ١٧٧٩م كتابه(أصوات الشعوب من أغانيها)، وهو كتاب جمع فيه مجموعة من الأغاني الشعبية الألمانية خاصة الحياة التي تعكس حياة الشعب الألماني.

ومنذ ذلك الوقت بدأ الباحثون والدارسون يهتمون بجمع الأغنية الشعبية وتصنيفها ودراستها، وكانه هؤلاء الباحثون قبل استخدام هذا المصطلح يستخدمون كلمة(أغنية) فقط، ويطلقونها على كل الأغاني، وإن أضافوا في بعض الاحيان كلمات أخرى ليميزوا بين الأغاني المتعددة والمختلفة، وذلك مثل "أغاني العمال" أو "أغاني الفلاحين" أو "الأغاني الدينية"، وقد وجدت محاولات عديدة لتعريف الأغنية الشعبية، أهمها ما يأتي:

١- تعريف "كراب":

يقول كراب: إن الأغنية الشعبية هي: قصيدة شعرية ملحنة مجهولة الأصل كان تشيع بين الاميين في الأزمنة الماضية وما زالت حية في الاستعمال.

٢- تعريف بوليكافسكي:

يرى بوليكا أن الأغنية الشعبية هي المنسوبة إلى الشعب فهو صاحبها ومؤلفها وهي التي أنشأها الشعب، وليس ترديدها أو شيوعها هو الذي يضفي عليها صفة الشعبية.

٣- تعريف ريتشارد فايس:

يرى فايس أن الأغنية الشعبية هي التي يغنيها الشعب وتؤدي وظائف يحتاجها المجتمع الشعبي.

٤- تعريف هانز موزر:

يذهب موزر إلى أن الاغنية الشعبية هي التي يقوم المجتمع الشعبي بتعديلها وإبداعها وفق رغبته إلى أن صار يمتلكها، وهي خاضعة لوجدانه يغير فيها لتلائم التعبير عن حاجته المتعددة.

٥- تعريف جورج هرتسوج:

يقول هرتسوج إن الأغنية الشعبية هس الاغنية الشائعة الذائعة في المجتمع الشعبي، وانها تشمل شعر وموسيقى الجماعات والمجتمعات الريفية التي تتناقل آدابها عن طريق الرواية الشفوية دون حاجة إلى تدوين أو طباعة. وإذا أردنا أن نضع تعريفا محدد للأغنية الشعبية يميزها عن غيرها من عائلة المأثورات الشعبية فإننا لا بد أن نضع في اعتبارنا ما يلي:

أ- الذيوع والشيوع والانتشار.

ب- المرونة التي تتسم بها الأغنية الشعبية(التغيير والتبديل).

ج- الرواية الشفوية.

د- الشعر والموسيقى.

هـ- التعبير عن الوجدان الشعبي.

و- تجهيل المؤلف.

وهذه هي أهم سمات الاغنية الشعبية، وبناء على ذلك يمكن أن نرتضي التعريف:

الأغنية المردودة التي تستوعبها حافظة الجماعة التي تتناقل ادبها شفاها، وهي مجهولة المؤلف قابلة للتغيير والتبديل، يتزاوج فيها النص

الشعري مع اللحن الموسيقي، وتكون معبرة عن وجدان الجماعة الشعبية، ومتعددة بتعدد مناسباتها.

أنواعها:

للأغنية الشعبية ألوان وأشكال عديدة منها:

١- الموال.

٢- أغاني الطفولة.

٣- أغاني الخطبة والزواج.

٤- أغاني العمل.

٥- الأغاني الدينية.

٦- البكائيات(المراثي الشعبية).

أغاني الطفولة:

يشمل هذا النوع أغاني متعدد منها أغاني الميلاد وترقيص الأطفال والختان وألعاب الاطفال.

أ- أغاني الميلاد: تصاحب الأغنية الشعبية الإنسان منذ أيامه الأولى إذ يحتفل المجتمع المصري بمولد الطفل خاصة الذكور، وغالبا ما يكون هذا الاحتفال في ليلة السابع بعد مولده(ليلة السبوع)، وفيها تقد الهدايا(النقوط) وفي هذا المناسبة يغني الاطفال الصغار وهم يرددون حاملين الشموع مع السيدة التي ترش الملح قائلين:

حلقاتلك برجلاتك..... حلق ذهب في وداناتك

إذا كان المولود ذكرا أما إذا كانت أنثى فإنهم يقولون:

حلقاتها برجالاتها.....جلق دهب في ودناتها

وتغني السيدة التي ترش الملح قائلة:

يا ملح دارنا.....كتر صبيانا

يا ملح دارنا.....كتر عيالنا

وهناك عادات مصاحبة لهذه الأغاني مثل رش الملح ودق الهون ووضع الطفل في الغربال وهزه والاتيان ببعض الصواني ووضع القلل في وسطها وتقديم النقوط ووضع أموال فضية في الماء الموجود بالصينية وإيقاد الشموع وغير ذلك، ومن الأغاني المصاحبة لهذه المناسبة، وهي تقال على لسان الأم:

لما قالوا دا ولد

انشد ضهري وانسند

وجابولي البيض مقشر

وعليه سمن البلد

لما قالوا دي بنية

اتهدت الحيط عليّ

وجابوا البيض بقشره

وعلى السمنة ميه

ومن أغاني الميلاد:

تستاهلي يا ام الولد

تستاهلي لبة وحلق

ما تستاهلي يا أم البنية

ما تستاهلي حلق ولا عدنية

ومنها أيضا:

لما قالوا دا ولد

انشد ضهري وانسند

وجابولي الفطير بالمرق

وقالو لي كلي يا ام الولد

لما قالوا دي بنيه

هالت الحيط عليّ

وجابولي الفطير بالميه

وقالوا لي كلي يا أم البنية

ومنا أيضا:

يا فرحتي لما اداني

نَعم علي وعطاني

بعدما كنت حزينة

لبست مرجاني

وإذا كانت هذه الأغنيات كما نلاحظ تعبيرا عن الفرحة بالمولود الذكر، وتحتفي به احتفاء بالغا فليس معنى ذلك أنه لا توجد أنان تعبر عن فرحة الام بالمولود إذا كانت أنثى، بل هناك أغان تعبر عن ذلك، منها:

لما قالوا دي بنية

قلت يا ليله هنية

هتعجن لي وتخبزلي

وتكلا لي البيت ميه

لما قالوا دي بنية

قلت يا ليله هنية

هتنكس لي وتفرش لي

وهتستر توبي علي

لما قالوا دا غلام

قلت يا ليله ضلام

هكبر وأسمّنه

وياخدوه مني العظام

لما قالوا (بشراقة)

اديت المبشر ناقة

أديته حلة بغطاها

وسبع معالق م الطاقة

وكذلك الأغنية:

لما قالوا عروسة

ندي المبشر جاموسة

حلتين بغطاهم

وأربع صواني مرصوصة

تستاهلي يا داية

بدلة حرير وملاية

تستاهلي يا لطيفة

بدلة حرير وقطيفة

ب- أغاني الختان:

الختان هو المناسبة الثانية التي تصادف الإنسان في حياته، وما زالت الأغاني التي تنشد في هذه المناسبة تشير إلى الحلاق أو المزين رغم تقدم الطب الحديث، إذ تقول الأغنية:

المغنية:

داري يا مزين داري

سمعني عياط الغالي

المرددات:

داري يا مزين داري

سمعني عياط الغالي

المغنية:

وآدي أمه قاعدة مجليه

وفي إيده الأساور بميه

وآدي أبوه ماسك الصينية

بيفرق شربات الغالي

وهناك أغنية طريفة تقول كلماتها:

يا صحن فضة والغطاية زانته

والفرحة لأمه والحبيبة خالته

والواد صغير قدموا له طهارته

يا صحن فضة والغطايا حلته

والفرحة لأمه والحبيبة عمته

والواد صغير قدموا له فرحته

رشوا قناني العطر في الطاقيه

وأبوه رايح يلبسه الشهيه

وأمه دسته من العدو عشيه

رشوا قناني العطر في طربوشه

وأبوه رايح يلبسه ملبوسه

وأمه دسته من العدو ليشوفه

ويلاحظ أن هذه الأغاني لا تتعرض بالذكر لختان البنات، وذلك نابع من عادات المجتمع، في اهتمامه بالذكور، والخجل من الحديث في هذا الشأن عن البنات.

ج- ترقيص الأطفال:

وفيها تغني الأم لطفلها عندما يبكي أو عندما تريده ان ينام أو عند ملاعبته ومداعبته او ترقيصه وتعليمه الحركات، وتتميز هذه الأغاني بالقصر ويحبها ترقيص الطفل وتحريكه وتحريك بعض أجزاء جسمه، أو اهتزاز الأم بنفسها، ومن ذلك الإنية المعروفة:

نينا نام...نينا نام

وادبح لك جوزين حمام

يا حمام ما تخافش يا حمام

دا أنا بضحك على حسين لما ينام

ومن أغاني ترقيص الأطفال:

ليلة ما جيت يا ولد

زغرت الوز على الجرد

والحبيب لأمك فرح

والعدو بيت ما رقد

ليلة ما جيت يا غلام

بيت الوز على الجردان

والحبيب لأمك فرح

والعدو بيت ما نام

ليلة ما جيت يا قانون

اللحم بيت على الكانون

اللي اتعشى بات بعشاه

واللي ما تعشي بات مغبون

ومن هذه الأغنيات أيضا:

نام نام يا حمام

وادبح لك جوزين حمام

ولا تكاكي يا فروج

ولا تبرجم يا حمام

الواد رايح ينام

على فرشة ريش نعام

بطلوا حديت وكلام

الواد رايح ينام

الواد رايح يرقد

على فرشة ريش الهدهد

د- أغاني ألعاب الأطفال:

وهي كثير ومتعدد، ومنها:

يا طالع الشجرة

هات لي معاك بقرة

تحلب وتسقيني

بالمعلقة الصيني

وانا مين يربيني

رباني عبد الله

وانا زرت بيت الله

لقيت حمام أخضر

بيلقطوه سكر

ومنها أيضا:

المغنية		**المرددات**
وطلعنا	**الجبل**	**يوحه**
بنقي	**سبل**	**يوحه**
وقابلني	**البيه**	**يوحه**
اداني	**جنيه**	**يوحه**
اجيب بيه	**ايه**	**يوحه**
اجيب بيه	**وزة**	**يوحه**

والوزة	تكاكي	يوحه
أجيب	لمون	يوحه
لمون	حادق	يوحه
والحاج	محمد	يوحه
باع	الجاموسة	يوحه
بيعد	فلوسه	يوحه

أغاني العمل

يرى بعض الدارين ان أغاني العمل هي الأصل الأول للأغاني، وذلك أن العمل هو أساس الحياة، وان وظيفته إعادة الوحدة والتناغم بين الفرد والجماعة، وتهدف أغنية العمل إلى تنسيق الحركة وزيادة مقدرة العمال على بذل الجهد بتوقيع حركتهم في انتظام، وتتسم اغنية العمل بسمات اهمها أن الإيقاع فيها يخضع لحركة العمل المنتظمة المتكررة، وان فيها كلمات ليس من السهل فهمها، مثل (هيلا بيلا)و(يا ليصا) و(لوبلي)، وان بعض أغاني العمل قد لا تتصل بالعمل الذي تغني أثناءه، إنما تتناول موضوعات ومشاعر مختلفة، مثل: الحنين والشوق وشكوى الزمن، ومثل الحديث عن الأمل في تحسين الأحوال، ومن أبرز الأعمال التي تغنى فيها هذه الأغاني: الصيد والحرث وجمع القطن والحصاد، والساقية والري والشادوف والبناء.

ومنها:

يا ساقية دوري يمين وشمال

واسقي العنب والخوخ والرومان

لوبلي يا لوبلي

سلامة الحمرا من السكين

معيشة الفقر والمساكين

لوبلي يا لوبلي

ومن أغاني الصيد التي تتخذ شكل موال:

يا ريس البحر عديني قوام معدول

وافرط قلوعك دا انا شايف هواك معدول

والفكر والبال يا قاضي الغرام معدول

الأغاني الدينية

هي التي ترتبط بالمناسبات الدينية، وهي في الحقيقة تحظى باحترام شديد؛ لأنها تنبع من جلال المناسبة، ولأنها ترتبط في جوهرها بالمعتقدات

الدينية، وغالبا ما تزدهر هذه الأغاني في فترة الحماس الديني، وتغلب عليها اللغة الفصحى، ومن المرجع أنها نشأت بين اواسط المتدينين، وأصحاب الطرق الصوفية، وهي تستغل شكل الموال وتستلهم سيرة الرسول(ص)، وحكايات الأولياء، كما تستلهم القرآن الكريم بما يتناسب مع إدراك العامة، ولعل أهم المناسبات التي تقال فيها هذه الأغاني هي الاعياد الدينية والمولد النبوي الشريف ومناسبة الحج، ومن تلك الأغاني في صورة الموال:

العشق أصله حرام وفي حب النبي جايز

والقتل أصله حرام وفي دين النبي جايز

واللي نظروا النبي النور عليه يبان

قلع الحرير ورماه ولبس الخيش يا أخوان

دا في أول الليل يطلب كريم حنان

وفي لآخر الليل يصلي في حرم النبي العدنان

ومن الأغاني التي تنشد في المولد النبوي:

يا نفس لا ينفعك ولدك ولا مالك

لا تطمعي يا نفس وابكي على حالك

رضوان يقول للنبي ادخل الجنة هنيالك

روى البخاري ومسلم والامام مالك

كتر الصلاة على النبي تمنع عذاب مالك

والمناسبة الدينية الكبرى الاخرى هي مناسبة الحج، وفيها ينظم كثير من الأغاني، وتتحدث عن شوق الحاج إلى زيارة النبي(ص)، والديار الحجازية والبيت الحرام، وهذا النوع من أغاني الحج تسمى(التحنين أو حنون الحج)، كما أن أغاني الحج ترسم صورة لمراحل الحج من الاستعداد للسفر حتى العودة، وتتميز أغاني الحج ببساطتها في النية وسهولة ألفاظها، وتصوير الجماعة الشعبية إزاء هذه الشعيرة، وتعبر عن مشاعر عميقة.

****

الفصل الثالث
الخيالُ في أدب الأطفال

المبحث الأول
أهمية الخيال بالنسبة للأطفال

يقوم منهج أدب التربية السليمة؛ على التوازن بين الشكل والمضمون، والوسائل والغايات؛ رغبة في استثمار هذا المجال استثمارًا أمثل، يرتقي بنفوس أبنائنا ويسمو بعقولهم، ويسهم في الدعوة والتربية، ويعين الأديب الفاضل في أن يعرف المدى الذي يسمح فيه بالتعامل مع الخيال الذي يعد من ركائز العمل الفني، ولا يكاد ينهض جنس من الأجناس الفنية الأدبية بدونه.

إن خيال الطفل لا تحده الحدود التي تحيط بخيال الكبير؛ لأن عقله مفتوح لا تحده قوانين أو ضوابط، وهو جزء من حياة الطفل وتفكيره، فكثيرًا ما تراه مندمجًا في فكرة خيالية، فيتكلم بلسانها ويتقمص شخصيتها وتذوب شخصيته تمامًا فيها؛ ذلك أن الطفل لا يرى الأشياء بعينه، بل يراها بخياله، والحقيقة عنده ليست في الإطار الخارجي للأشياء، بل في المعنى الذي ترمز له! ليس يعني الصبي أن يكون سيفه من صفيح أو حديد أو خشب، إنه سيف وكفى! وإنه ليعطي هذا المعنى المجرد قوة أصلب من قوة المادة، وإنه ليس يعني الصبية أن تكون عروسها من قطن أو ليف أو طين، وإنما هي معنى يثير فيها غرائز الأمومة، فهي تحتضنها، وتضفي عليها من الأسماء والصفات ما يخيل إليها أنها جسم حي؛ لذلك كانت حياة الطفولة أخصب من حياة الكبر؛ لأن الطفل– ذلك الساحر أو الفنان– يستطيع أن يقلب الصفيح حديدًا، والقطن جسدًا نابضًا، والزجاج ماسًا لامعًا، لا قيمة عنده لحقيقة المادة، يكفي أن يمسها بيده لتصبح لها الحقيقة التي يريدها.

والواقع الذي لا ينكر أن للخيال أهمية في عدد من الجوانب التربوية والعقلية المهمة للطفل، وحين سئل الشيخ محمد المنجد عن حكم الرسوم المتحركة– وهي مبنية على قصص خيالية– ذكر من إيجابياتها: تنمية خيال الطفل، وتغذية قدراته، وتنمية الخيال من أكثر ما يساعد على نمو العقل، وتهيئته للإبداع، ويعلمه أساليب مبتكرة، ومتعددة في التفكير والسلوك، ويمكن إيجاز أهمية الخيال وأثره على الأطفال في النقاط التالية:

-إثارة قدرته على التفكير:

من الضرورى تحريك ذهن الطفل وعقله، حتى لا يقف جامدًا أمام ما يراه ويمر به؛ ولهذا فإن اتهام الخيال بأنه يقود إلى الكسل الذهني اتهام غير صحيح، بل هو على العكس تمامًا، ولكنه في المقابل قد يكون مدعاةً إلى الكسل البدني، وهذا إذا استسلم الطفل لخيالاته، واقتصر عليها دون أن يستثمرها في أعمال إنتاجية أو إبداعية، فالخيال بالنسبة لعقل الطفل كالهواء بالنسبة للبالون، فالخيال يوسع من عقله، ويدفع إلى الإبداع وتنمية المهارات المختلفة.

-إعادة تشكيل الحياة على نحو أفضل:

فالخيال لا يقتصر على الماضي والحاضر، وإنما يتجاوزه إلى المستقبل، فيتم من خلاله طرح بدائل للواقع السلبي، أو طرح أسباب لتعزيز الواقع الإيجابي.

-تحقيق التوازن النفسي:

لما فيه من بعد عن أعباء الواقع وقيوده، وانطلاق لأجواء من التفكير الخلاق والمبدع.

-تقريب الفكرة:

من المهم تقريب إلى نفس الطفل، وجذبه إلى مضمونها؛ لأن ما يحمله الخيال من أفكار لم تمر بالأطفال مصدر جذب إلى اكتساب ما في العمل الأدبي من قيم.

-تقدير الأحكام:

يجب مساعدة الطفل على إصدار الأحكام وتقديرها على الأشياء، مثل: ما الخطأ؟ وما الصواب؟ ما الفائدة؟.

-التصرف في المواقف:

يجب أيضًا مساعدة الطفل على التصرف في المواقف التي قد تواجهه في الحياة، وهى كثيرة، ومعرفة عواقب الأمور والتصرفات بأسلوب محبب.

****

المبحث الثاني
مراحل الطفولة وعلاقتها بالخيال

يشكل الخيال حيزًا كبيرًا من عقل الطفل وتفكيره منذ سنواته الأولى في هذه الحياة، ولكن هذا الخيال يختلف من مرحلة إلى أخرى؛ تبعًا لتغير الخصائص النفسية والعقلية للطفل في هذه المرحلة، ويمكن الإشارة إلى أبرز صفات الخيال في المراحل المختلفة على النحو التالي:

المرحلة الأولى:

مرحلة الخيال الوهمي المحدود بالبيئة «٣-٥ سنوات»، ويكون الطفل فيها ذا خيالٍ حادٍ، وهو خيال محدود بأسرته وبيئته الضيقة، وخيال الطفل في هذه المرحلة يخلط بين الخيال والواقع، فقد يكذب في رواية واقعة من غير أن يتعمد الكذب، ولكن ذلك يكون استنادًا إلى خياله، أو استنادًا إلى ما سمعه، والطفل في هذه المرحلة يميل إلى قصص الحيوانات التي تتحدث، والأحداث التي تمر به شخصيًا، ويهتم بها.

وبناءً على هذه الخصائص يُنصح أن تكون القصة قصيرة، بعيدة عن إثارة الفزع والرعب والخوف، كما ينصح أن تكون من بيئة الطفل، فتكون شخصياتها مألوفة لديه كشخصية الأب أو الأم أو الأسرة، أو كشخصية الطبيب، أو الشرطي، وإن كانت من قصص الحيوانات فتكون حيواناتها من الحيوانات التي يعرفها كالقط، والكلب، والخروف، والعصفور، والنملة، عندئذ يجد الطفل بين يديه عالمه الصغير، يراه بعيني رأسه، ويعيشه، وتكون تجربته أكثر وعيًا وأكثر صدقًا ويكون أكثر تفاعلًا معها، وأشد اندماجًا مع شخصياتها وأحداثها، وتسمية هذه المرحلة بمرحلة الخيال الوهمي بسبب أن خيال الطفل- وإن كان محدودًا في بيئته- إلا أنه خيال مجنح؛ حيث يصبح

العصا حصانًا يركبه، وقد يصهل عليه صهيلًا يحاكي فيه صهيل الخيل، ويصير الكرسي وقد جلس عليه مقعدًا في سيارة مرة ومقعدًا في طائرة أو قطار مرة أخرى، وهذا مبني على ما استعمله ورآه من هذه الوسائل، وينطلق خياله مع كثير من التجارب التي تمر به محاولًا أن يجد لها نظيرًا، أو يكررها.

المرحلة الثانية:

مرحلة الخيال المنطلق «٦-٨ سنوات»، وفيها تتجاوز خيالات الطفل نطاق البيئة التي يعيش فيها، ويتسم خيال الطفل بالإبداع التركيبي الموجه نحو غاية عملية محددة، ويبدأ الطفل بالتطلع بصورة أشد إلى العوالم الخيالية، وتصبح القصص الخيالية وقصص الحيوان مصدرًا من مصادر المتعة لديه.

وبناء على ذلك يُنصح أن تكون القصة قصيرة، وإن كانت أطول من القصة المقدمة لطفل المرحلة السابقة، وألا تحوي ما يثير في نفس الطفل والخوف والهلع، ومن المناسب أن يكون «جو الحكاية هادئًا، والمشاعر فيها مسيطرة، مع اشتمالها على روح الفكاهة التي يحبها الطفل»، ولا بأس في هذه المرحلة من خروج الخيال خارج نطاق بيئة الطفل، والتوسع قليلًا فيه، واستثماره في تقريب بعض المعاني المجردة كالتعاون، والصبر، والصدق، حيث يتميز طفل هذه المرحلة بكون خياله إبداعيًا، يستطيع أن يميز فيه بين الحقيقة والخيال.

المرحلة الثالثة:

مرحلة الخيال المثالي «٩-١٢ سنة»، ويتجه خيال الأطفال فيها إلى المثالية، حيث يكونون قد انتقلوا إلى دور هو أقرب إلى الواقع، فيتخيلون صورًا واقعيةً أو مرتكزة على الواقع، وفي هذه المرحلة تزداد أوجه الاختلاف

بين البنين والبنات؛ فأما البنون فتبرز لديهم غريزة حب السيطرة والغلبة؛ ولذا فإن الذكر في هذه المرحلة تستهويه قصص الشجاعة والمغامرة، وينبغي الحرص على أن يتوافر في هذه القصص ما يعزز القيم النبيلة والخيرة؛ كالسعي للدفاع عن الحق، أو استثمار القوة في مساعدة الضعفاء والمحتاجين، وأن يتوافر فيها ما ينفر من أخلاق اللصوصية والاعتداء والتخريب والإفساد والتهور.

وأما البنت فإن قصص الأسرة هي التي تستهويها، ألا ترى أنها تحتضن عروستها الصغيرة وتلبسها ثيابها، وتنميها بجوارها، وتخلع عليها أحب الأسماء إليها، وتفيض عليها غرائز الأمومة والحنان، في امتزاج بديع بين الحقيقة والخيال؟ ولذا فينبغي غرس العادات والقيم الأسرية الصالحة، وترسيخ مبادئ المجتمع الفاضل فيها، وإشعارها- من خلال القصة- بأثر الأسرة، وأهمية العناية بها ورعايتها.

إن هذه المرحلة تمثل مرحلةً خصبةً للقاص؛ حيث نما المستوى العقلي واللغوي للطفل بصورة تحرر القاص وتسمح له بمزيد من الإبداع والرقي في البناء الفني للقصة، وتتيح له فرصة في عرض المزيد من الأحداث، كما أنها تهيئ له أرضية خصبة وصالحة ليضع فيها بذور الإصلاح والإرشاد بطريق غير مباشر، يلقى كل ترحيب واستمتاع من الطفل.

****

المبحث الثالث
حدود الخيال المقبول ومعاييره

من المهم جدا بعد هذه الجولة السريعة في عالم الخيال في قصص الأطفال، أن نشير إلى بعض الضوابط والمعايير للخيال، حتى يكون إيجابيًا بناء مقبولًا، ومن أهم هذه المعايير:

عدم التعارض مع عقيدة الإنسان الشرقى، وأحكام الشريعة، كالذي نجده في الأساطير اليونانية التي تعدد الآلهة، وتنزلهم منزلة البشر، فيتآمرون ويرتشون ويحقدون، ففي هذه الأساطير خطر محقق على عقيدة أطفالنا، ومن هذه النماذج أنموذجان عُرِضَا- للأسف- على مرآي أبنائنا مئات المرات، من خلال أفلام الكرتون، أحدهما: تلك القصة الخيالية التي يرمي فيها شخص حبة في الأرض لتنبت شجرة عملاقة تخترق السماء، لتصل إلى شخص آخر عملاق وجبار يسكن السماء، ولديه دجاجة تبيض ذهبًا! فمثل هذه القصة قد تسبب خللًا في إيمان الطفل بالله عز جلاله من نواح عديدة.

والأنموذج الثاني من القصص المرفوضة تلك الصراع الذي يحدث بين رجلين على امرأة، ويكون لأحدهما قوة خارقة تؤدي إلى انتصاره على خصمه في كل المواضع، ووجه رفض هذه القصة أن علاقة الرجل بالمرأة لا ينبغي أن تصور بهذه الطريقة، كما أن جعل القتال مستمرًا ودائمًا لهدف واحد وهو كسب رضا هذه المرأة وحبها مما يتنافى مع القواعد التربوية للطفل.

ولا يخفى على ذي لب أن اهتمام الإسلام بالتربية المثلى للطفل اهتمام لا يعدله اهتمام، فعند قول الباري تبارك تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ...} (التحريم: ٦)، قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه

الله: «علموا بعضكم بعضًا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه»، ويكفينا في هذا السياق الحديث العظيم الذي رواه عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: « ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه، فالإمامُ الذي على الناسِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِه، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِه وهو مسؤولٌ عن رعيتِه، والمرأةُ راعيةٌ على أهلِ بيتِ زوجِها وولدِه وهي مسؤولةٌ عنهم، وعبدُ الرجلِ راعٍ على مالِ سيدِه وهو مسؤولٌ عنه، ألا فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه»؛ قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.

الاهتمام باستبعاد ما يتنافى مع أسباب التربية القويمة للطفل، فهذا أمر مُسَلَّم يدعو إليه الجميع، فهذا سرجيو سبيني يرى أنه من أجل أن يكتمل الدور الفاعل لأدب الأطفال يجب أن نستبعد الأعمال التي: «تحوي بين طياتها أشخاصًا غير مناسبين من الناحية التربوية، بمعنى أن أبطال هذه الأعمال يقدمون إلى الأطفال القدوة السيئة».

وقد سأل بعضهم عن حد الخيال الذي يمكن أن يعرض للطفل من باب التشويق، فكانت الإجابة: «وأما حد الخيال الذي يمكن أن يعرض للطفل من باب التشويق فهو يختلف باختلاف البيئات والوسائل المتاحة، وعلى أية حال، فكل ما يمكن أن يُنمي فيه ملكات البحث والابتكار، ولم يكن يتنافى مع الشرع فهو مما يحسن أن يقدم إليه».

مراعاة حاجات الطفل النفسية ومراحل نموه المختلفة، والنتائج المترتبة عن قصص الرعب والخوف، فيجب أن ننفي القصص من كل ما من شأنه أن يثير في نفس الطفل الخوف والرعب، وأن نجنبهم الخيالات المفزعة، فمن الخطأ البَيّن أن تشتمل هذه القصص على تصوير الكواكب

والفضاء وهي مليئة بالكائنات والمخلوقات الشريرة التي تهدد أمن البشرية وسلامتها، وعلى حوادث الغيلان، أو قتل الأطفال، أو مسخهم إلى أحجار أو حيوانات، لأن ذلك يؤثر في مشاعرهم، ويربيهم على الخوف والفزع، ويسبب لهم الكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية، ويؤدي بهم إلى فقدان الشعور بالأمن والطمأنينة.

ومن الأمثلة على ما يمكن أن يحدث بسبب اختلال هذا المعيار أن «طفلة في التاسعة من عمرها، كانت شديدة الذكاء، دائمة النجاح، تدهورت صحتها فجأة، بعد أن أصيبت بحالة قلق نفسي، تبين أنها كانت ناجمة عن خوفها من أن تتحول إلى تفاحة يأكلها الناس، وبعد طول التقصي والبحث تبين أن الطفلة قرأت قصة عن ساحر سحر طفلًا فحوله إلى قط، وسحر طفلًا آخر فحوله إلى تفاح، ولأن الأطفال يتقمصون ما يقرأون وما يسمعون، فقد وضعت الطفلة نفسها مكان الطفل، فعاشت في رعب دائم».

ومن النماذج التي لم تستوف هذا الشرط قصة أقتطع منها المقاطع التالية: «... فبعد أن جاذبهم أطراف الحديث، سألهم عن خبر تلك القبة من الشوك التي تلوح للنظر، فقال له شاب من بينهم: حذار يا سيدي أن تقترب منها، إنه قصر تأوي إليه الأرواح الشريرة...فانبرت فتاة من الجماعة تفند رأي الشاب وتقول: بل إنه منزل تجتمع فيه سحرة البلد، يتشاورون فيه ويضعون خططهم الشيطانية، ولا يعوقهم الشوك عن دخوله...فقاطعتها سيدة في مقتبل العمر، وقالت وهي تضم طفليها إلى صدرها كأنها تخشى عليهم خطرًا من الأخطار: كلا، إنه منزل غول من الأغوال، يخطف الأطفال ويأتي بهم إلى ذلك المنزل من منفذ سري لا يعرفه غيرهم، فيشويهم ويأكلهم ويرمي بعظامهم في إحدى الغرف، ولا بد أن تكون الآن مملوءة بعظام هؤلاء الأبرياء».

وبمثل هذه النماذج يتحول الأدب من مصدر لمتعة الأطفال وراحتهم وتربيتهم إلى «مثيرات للفزع والخوف تفسد حياتهم، وتقضي على شخصياتهم، وتملأ نفوسهم بالكآبة والضيق والاضطراب، وهذا ما يجب أن ينأى عنه الأدب».

يقول أحد العلماء: «وينبغي أن يُوقى الطفل كل أمر يفزعه؛ من الأصوات الشديدة الشنيعة، والمناظر الفظيعة، والحركات المزعجة، فإن ذلك ربما أدى إلى فساد قوته العاقلة لضعفها، فلا ينتفع بها بعد كبره»، وحين نمعن النظر في سنة الرسول الكريم ﷺ نجد فيها ما يؤيد مثل هذا التوجيه، فقد نهى عليه السلام عن ترويع المؤمن، ولا ريب أن ترويع الطفل أشد وقعًا وأسوأ أثرًا، وقد حدث أصحابه أنهم كانوا يسيرون معه ﷺ في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: ما يضحككم؟، فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نبل هذا، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا».

ارتباط الخيال بما هو صحيح في سنن الكون، أو على الأقل بما هو ممكن أو جائز أو نسبي إن قصص الأطفال الخيالية بحاجة إلى الصدق الفني والموضوعي، وذلك بأن تؤدي «بطريقة منطقية مقنعة، بحيث يصبح الخيال وكأنه حقيقة، فالطفل سرعان ما يهرب من قراءة القصص الذي يشم فيه شيئًا من الخداع وفرض أشياء بعينها، ولهذا فإن بعض النقاد يعتقد أن الطفل هو أذكى ناقد لما يقرأ».

إن قصص الحيوان مقبولة؛ لأن للحيوانات خصائص خاصة، ولغات مشتركة، ويبقى دور الخيال في تحدثها بلغة البشر، وفي وصف بعض الأحداث التفصيلية، والطفل يمكن أن يستوعب أن لغة البشر وُضعت على لسان الحيوانات لتقريب الأحداث وتوضيحها. والرجل «السوبرمان» غير مقبول؛ لأنه لا يمكن تصور رجل يتحول بمجرد أن يستبدل ثيابه إلى تلك

القوة الخارقة التي لا يقف في طريقها شيء، وهكذا فإن كثيرًا من قصص الخوارق مرفوضة لاختلال هذا المعيار وعدم تحققه.

ويضاف إلى ذلك أن الطفل معرض حين تختلط الحقيقة بالخيال إلى تقليد هذه الشخصيات، وحينذاك يصبح الخطر محدقًا به وحقيقة واقعية. يقول أحد الباحثين في علم النفس تعليقًا على تقديم أمثال هذه الشخصيات إلى الأطفال: «إن خطر تقليد هذه الشخصيات– دون حرص– أمر وارد باستمرار لدى أطفال هذه المرحلة»، وبعض هذه الروايات والأفلام يتضمن أيضا مصادمة واضحة لحقائق تاريخية مذكورة في القرآن والسنة عن خلق الإنسان وحياته على الأرض، فلماذا يورط المرء نفسه بقراءة ومشاهد ما قد يزعزع عقيدته، أو على الأقل يضيع وقته ويشغله بما لا ينفع، حتى وإن زعم بعض الناس أن هذا من قبيل التسلية والترفيه؛ فإن الترفيه لا يجوز أن يكون بحرام، ووقت الرجل أَجَلّ من أن يضيع في هذه الترهات».

الأمن من حدوث بلبلة ناتجة عن المزج بين الخيال والحقيقة، وعدم اضطراب المفاهيم، أو اختلاط الحقيقة بالخيال. وهذا يؤكد على قضية مهمة، وهي أن الخيال يجب أن يكون متصلًا بالواقع، فلا يتناقض معه، ولا ينفصل عنه انفصالًا تامًا، فالخيال المطلوب هو الذي يمتزج بالواقع بقدر مناسب، فيقيم علاقات بين خبرات القصة والخبرات الإنسانية العامة.

ومن هنا فإن من النماذج القصصية الخيالية المرفوضة قصة «أطفال الغابة» التي صورت العمة بأنها شريرة قاسية تحاول الخلاص من أبناء أخيها، مما قد يترتب عليه نفور الأطفال من عمتهم، وهذا بالإضافة إلى أنه يؤدي إلى اضطراب المفاهيم فإنه يتعارض مع أصل عظيم من أصول شريعة الإسلام، وهو صلة الأرحام.

عدم الإسراف أو الإيغال في الخيال؛ لأن من شأن هذا الإغراق أن يبدد طاقة الطفل الواقعية، وأن يؤدي إلى هروب الطفل الدائم من مواجهة

الواقع، والتكيف معه، فمثل هذا الإفراط قد يشكل قصصًا للأطفال مفعمة بالوهم لا التخيل، وتقديم نماذج للبطولة الزائفة، والتفوق الزائد عن الحد، والقدرات التي تتجاوز المستحيل إيهامًا لا حقيقة، مما يبعد الأطفال عن الواقع، وينفرهم منه، ويغرقهم في الوهم والخداع.

ومما سبق ندرك أن هذه الضوابط والمعايير تفصيلية، وأن هناك ضابطًا أو معيارًا واحدًا عامًا، وهو: إيجابية نتيجة هذه القصة وسلامة ثمرتها في نفس الطفل المتلقي؛ ذلك أن هذه القصة موجهة أصلًا لهذا الطفل، فلا يجوز أن يخرج منها بنتيجة خاطئة، أو فاسدة، أو تكون حصيلته منها تصورات باطلة أو منحرفة.

وختامًا يجدر أن نفرق بين الخيال المقبول والخيال المطلوب، فالخيال المقبول ما توفرت فيه المعايير السابقة، أما الخيال المطلوب الذي ينبغي أن يتوخاه الأديب المسلم فهو الخيال الذي تتوافر فيه المعايير السابقة بالإضافة إلى معيار آخر، وهو: ربط الخيال بهدف عالٍ وَسَامٍ يُثري خبرة الطفل، ويوسع آفاق تفكيره، وينمي قدراته الإبداعية.

****

الفصل الرابع
أدبُ الأطفال في مصر وأهم أعلامه

المبحث الأول
أدب الأطفال في مصر

أدب الأطفال في مصر:

مما لا شك فيه أن أدب الأطفال قديم في البلاد العربية مع أنه مختلف عن أدب الأطفال المعروف في العصر الحاضر في الشكل والتقسيمات والسمات وما إلى ذلك، ولو ناقشنا بداية الصورة الجديدة لهذا النوع من الأدب وازدهاره في العالم العربي في العصر الحديث فلا بد لنا أن نبدأ كلامنا من مصر حيث ظهر فيها كل فن بشكل جديد وذلك بسبب احتكاك المصريين بالغرب وتأثرهم بالأوروبيين، فأمر أدب الأطفال ليس مختلفا عن بقية الفنون الأدبية، وإنه ظهر في مصر في زمن "محمد على باشا" عن طريق الترجمة وذلك لما قام رفاعة الطهطاوي بترجمة القصص إلى العربية باسم حكايات الأطفال ثم نهج الآخرون منهجه وترجموا القصص الإنجليزية والفرنسية إلى العربية، ثم جاء دور الأصالة فحاول الأدباء كتابة القصص من أنفسهم، وبمرور الأيام ازداد اهتمام الأدباء بهذا الفن، وأصبح هذا النوع من الأدب من أقوى الأنواع الأدبية المستحدثة في السنوات الأخيرة، وقد انتشرت الكتابة للأطفال في العالم العربي، وأصبح إنتاج كتب الأطفال والصناعة مع عدد من دور النشر المتخصصة في أدب الأطفال والعديد من معارض الكتب التي تروج لمثل هذه الكتابات وفقا لبحث يفيد أنه تم نشر ٤٥٨٢ كتابا للأطفال ما بين عامي ١٩٩٥م و ١٩٩٩م، في حين نشرت ٧٧٤١ كتب بين ١٩٥٠م و١٩٩٥م، وأما السنوات الأخيرة فقد أسرعت كتابة فيه وظهر عدد لافت للنظر في مجال أدب الأطفال، ويعتبر أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث لونا أدبيا جديدا، وقد نشأ وتطور ومر بعدة

مراحل، شأنه شأن الفنون الأدبية التي نقلها الأدب العربي من الآداب الغربية ومن هذه الأطوار، لقد بدأ الاهتمام بأدب الأطفال في مصر في عهد محمد علي باشا (١٧٦٩-١٨٤٩م)كما ذكرنا آنفا، حيث كان رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م) من الكتاب الأوائل الذين اهتموا بأدب الطفل عموما، والقصة خصوصا، فقد كان مسؤولا رسميا عن التعليم في ذلك الوقت، الأمر الذي سمح له بإدخال بعض القصص في المناهج الدراسية، كما قام بترجمة أول كتاب للأطفال عن الإنجليزية وسمّاه "حكايات الأطفال"، كما ترجم كتاب: "مغامرات تليماك" وسماه "وقائع الأفلاك في مغامرات تليماك"، كما صدرت له سنة ١٨٧٠م مجلة "روضة المدارس" التي كان يشرف عليها والتي كانت منبرا للتثقيف، وكان معظم قرائها من التلاميذ الصغار، وهناك العديد من الكُتَّاب والكاتبات ممن جعلوا جل نتاجهم الأدبي موجها إلى الأطفال بعد الجيل المؤسس لأدب الأطفال في مصر: فلما كان أوائل القرن العشرين بدأ الاهتمام بأدب الأطفال على يد مجموعة من الشعراء في دائرة القصة "القصة الشعرية" مثل ماجد سليمان، طارق البكري، أحمد شفيق بهجت، أحمد نجيب الذي ألف مجموعة من الدراسات، إلى جانب مجموعة من القصص للأطفال، وكامل كيلاني الذي يعد بحق الأب الحقيقي للقصة المكتوبة للأطفال في الأدب العربي، فقد ألف وترجم واقتبس وبسط كتابا للكبار، وقدم للطفل العربي ما يربو عن مائتي قصة، فكان بذلك من كبار الأدباء المصريين الذين خصصوا إنتاجهم للأطفال، محمود مفلح-في ديوانه غرد يا شبل الإسلام، أحمد شوقي له ديوان خاص للأطفال، وعبد التواب يوسف الذي ألف عددا من الكتب نقدا وإبداعا، وغيرهم كثير في هذا المجال أمثال: عبد اللطيف عاشور، محمد سليم وعطية زهري، وأحمد مختار البزرة، إبراهيم شعراوي.

****

أهم أعلامه:

يعقوب الشارونى

المتصفح لتاريخ الأدب العربي الحديث يدرك تماما أن مصر هي الدولة العربية التي تتصدر شقيقاتها من ناحية الأدب، ويرجع الفضل فيه إلى ثراء أدبها وغزارة إنتاجها في هذا المجال، وعظمة وقيمة كتابها، فقد كانت دائما دولة رائدة فيما يتعلق بميلاد التيارات الأدبية والفكرية الجديدة، ويعد الكاتب المصري يعقوب الشاروني عميدا لكتاب أدب الأطفال والصغار، وقد شغل منصب رئيس المركز القومي لثقافة الطفل، وهو واحد من أهم فناني أدب الأطفال ويرجع له الفضل الأكيد في دفع أدب الطفولة بقوة في العالم العربي.

فيعقوب الشاروني هو أحد رواد أدب الأطفال في مصر والعالم العربي، فقدم للأطفال أكثر من ٤٠٠ كتاب، ترجم الكثير منها إلى أكثر من لغة، بالإضافة للعديد من الدراسات والأبحاث عن أدب الطفل والذي وضعه الشاروني في مقدمة اهتماماته، تقول عنه الأستاذة الدكتورة ماريا ألبانو، أستاذة الأدب العربي بالجامعات الإيطالية: "يعد الكاتب الشاروني المصري عميدا لكتاب أدب الأطفال والصغار وهو واحد من أهم فناني أدب الطفولة والأطفال، ويرجع له الفضل الأكيد في دفع أدب الطفولة بقوة في العالم العربي"، وقد ولد يعقوب إسحق قلينى الشاروني في العاشر من فبراير سنة١٩٣١م بالقاهرة، حيث بدأ حياته العلمية بدراسة القانون، وحصل على ليسانس الحقوق في مايو سنة ١٩٥٢م، وحصل عام ١٩٥٥م على دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وفي

سنة ١٩٥٨م حصل على دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد التطبيقي من كلية الحقوق جامعة القاهرة بمصر.

بدأ إبداع الشاروني في الكتابة يترسخ في عقله منذ الصغر عندما كان يستمع إلى حكايات جدته والتي توقف عندها عقله كثيرا، وعندما شرع في الكتابة للأطفال كانت حكايات الجدة قد كونت قاعدة أساسية استمد منها الشاروني أفكاره والتي حلق بها عاليا مبدعا الكثير من القصص المفيدة للأطفال، قدم الشاروني أعماله أولا من خلال مسرح المدرسة والذي كانت له العديد من المشاركات به، اهتم الشاروني بأن يقدم معلومة مفيدة للأطفال من خلال قصصه فلم تقتصر رواياته على الترفيه فقط، فعمد إلى التاريخ والتراث والحضارة، فاستقى منهم المعلومة وقدمها للطفل في شكل رواية مفيدة، وسلسة.

اتخذ الشاروني قرارا مهما للتفرغ لكتابة الأطفال وذلك عقب فوزه بإحدى الجوائز الكبرى، ففي عام ١٩٧٩م، أقيمت مسابقة كبرى لكتابة رواية للأطفال بمناسبة قرار الأمم المتحدة بأن يكون هذا العام عاما دوليا للطفولة، وفاز الشاروني بالجائزة بجدارة، وفي عام ١٩٨١م قرر التفرغ بشكل نهائي للكتابة للأطفال، وكان للجائزة التي حصل عليها الشاروني فضل كبير في تدعيم ثقته بنفسه وإمكانياته في الكتابة للطفل واستمراره في هذا المجال بل والنجاح فيه وهو بالفعل ما تحقق، ومن أهم هذه الجوائزة، جائزة "الآفاق الجديدة" في سنة ١٩٩٨م لأفضل كتاب للأطفال على مستوى العالم، من معرض بولونيا الدولى لكتب الأطفال بإيطاليا عام ٢٠٠٢ عن كتابه: "أجمل الحكايات الشعبية"، الذي فاز في نفس العام بجائزة أفضل مؤلف من المجلس المصري لكتب الأطفال.

أنشطته الثقافية:

شارك يعقوب الشاروني في الفترة من ١٩٧٠م إلى ٢٠٠٨م في مناقشة الكثير من رسائل الماجستر والدكتوراه في أدب الأطفال، كما قام بالإعداد وكتابة عدد من برامج الأطفال التلفزيونية الأسبوعية مثل برنامج مجلة الجيل الجديد، كما أشرف على ورش شهرية ثقافية للشباب المبدعين في أدب الطفل، وكتب دراسات متخصصة عن نماذج أدبية كثيرة في تربية الطفل وتنمية ذكائه وثقافته.

إسهاماته في أدب الأطفال:

قدم الشاروني للأطفال مجموعة كبيرة من المؤلفات القيمة فبلغ عدد الكتب التي قام بتأليفها ونشرها أكثر من ٤٠٠ كتاب كما ذكرنا، ترجم عدد كبير منها إلى أكثر من لغة، ونذكر من السلاسل التي قدمها الشاروني: موسوعة ألف حكاية وحكاية، موسوعة العالم بين يديك، أجمل الحكايات الشعبية، عشرة كتب ضمن المكتبة الخضراء للأطفال، سلسلة في كل زمان ومكان، وقدم أكثر من ستين دراسة وبحثا عن أدب الأطفال والكتابة لهم منها "تنمية عادة القراءة عند الأطفال" صدرت طبعته الرابعة ٢٠٠٥م، "القيم التربوية في قصص الأطفال" في ١٩٩٠م، "كيف نقرأ لأطفالنا ٢٠٠٢م، "ثقافة طفل القرية وثقافة الطفل العامل في ٢٠٠٢م، وغيرها الكثير من الدراسات التي تهتم بالطفل، ومن أهم القصص: سر الاختفاء العجيب (١٩٨١م)، مُفاجأة الحفل الأخير (١٩٨٣م)، مُغامرة البطل منصور (١٩٨٤م)، الرحلة العجيبة لعروس النيل (١٩٩٤م) مُغامرة زهرة مع الشجرة(١٩٩٧م)، في عام ١٩٩٨م صدرت عشرة مُجلدات تضم ألف حكاية بعنوان: " ألف حكاية وحكاية "، عفاريت نصف الليل (١٩٩٨م)، صدر منها خمس طبعات آخرها ٢٠٠٥م، شجرة تنمو في قارب (٢٠٠٢م)، صندوق نعمة ربنا (٢٠٠٢م)، حكاية طارق وعلاء (٢٠٠٢م)، الجائزة وأنياب النمر (٢٠٠٣م)، حكاية رادوبيس (٢٠٠٤م) معروف في بلاد الفلوس (٢٠٠٤م)،

حسناء والثعبان الملكى (٢٠٠٤م)، أحلام حسن (٢٠٠٤م)، والتي ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية، رجل السيرك (٢٠٠٤م)، تائه في القناة (٢٠٠٥م)، منيرة وقطتها شمسة (٢٠٠٥م)، مرمر وبابا البجعة (٢٠٠٥م)، صراع في بيت الطالبات، سلطان ليوم واحد (٢٠٠٥م)، الأعمى وكنز الصحراء، سر ملكة الملوك (٢٠٠٦م)، عن الملكة حتشبسوت، ثروة تحت الأرض (٢٠٠٦م)، طيور الأحلام (٢٠٠٦م)، الصياد ودينار السلطان (٢٠٠٦م)، أبناء لهم أجنحة (٢٠٠٦م)، روائع المتحف الإسلامي (٢٠٠٦)، أبناء في العاصفة (٢٠٠٧م) والكسلان وتاج السلطان (٢٠٠٧م) وغيرهم.

القيمة الاجتماعية في أدبه:

تعد القيم من أهم الركائز التي تبنى عليها المجتمعات، وتقام عليها الأمم، وتتعلق القيم بالأخلاق والمبادئ، وهي معايير عامة وضابطة للسلوك البشري الصحيح، والقيم الاجتماعية هي الخصائص أو الصفات المحببة والمرغوب فيها لدى أفراد المجتمع، والتي تحددها ثقافته مثل التسامح والقوة، وللقيم الاجتماعية أمثلة وأنواع، ولها أسباب تؤدي إلى غيابها عن واقع الحياة التى نعيشها، كما أن هناك سبلا لتعزيزها وبنائها.

وتعد القيم الاجتماعية والأخلاق من أقوى ما تبنى به المجتمعات، ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع، ففيها تنتشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتعم الأخوة بينهم، ويقوى التماسك والترابط بينهم بهذه القيم، فهي الضمانة لاستقرار المجتمعات وازدهارها ونجد أن الأمم التي تنهار بداية انهيارها إنما تكون في انهيار القيم والأخلاق، فلا يمكن فصل القيم عن الأخلاق، فهي تشترك معا في تحديد وضبط السلوك البشري في وجهته العامة والخاصة، قال أحمد شوقي في حديثه عن الأخلاق:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيَت فإن هم ذهبت أخلاقهم، ذهبوا

موضوع القيم من الموضوعات المهمة التي اهتم بها الكثير من الباحثين في مجالات مختلفة كالفلسفة والتربية والاقتصاد، وعلم النفس وعلم الاجتماع، وهناك وسائل مختلفة لاكتساب هذه القيم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، ومن أهم هذه الوسائل الاستماع إلى أو قراءة القصص، فالقراءات التى يتعرض لها الطفل بعد إتقانه عملية القراءة والكتابة توسع خبراته المعرفية، فقراءة الكتب والقصص والمسرحيات والمجلات والصحف كل هذه المواد العلمية تزود الأطفال بمواقف خلقية متنوعة فى بيئته أو مجتمعه، وهي القيم الخاصة بالعلاقات الاجتماعية والمهارات والسلوكيات التي ينبغي أن يكتسبها الطفل، ولقد اهتم الكاتب يعقوب الشاروني بالقيم الاجتماعية والتربوية وقدمها للطفل في أعماله المختلفة، وحاول منها أن يرسي دعائمها في نفوس الأطفال، حتى ينشأ ويتربى هؤلاء الأطفال على هذه القيم، وهو في هذا يتجه على مستوى للصغار وللكبار سواء، فهو ينبه التربويين إلى أنني معكم في بناء الطفل على الأسس التربوية السلمية.

ويقدم بنا كل هذا في ثنايا الحكى أو الحوار وفي إطار فنى مشوق وليس في شكل وعظي أو خطابي...ولقد اهتم بغرس الكثير من هذه القيم وقدمها وعالجها وأبرزها بأسلوب متميز مثل قيم الصدق والكرم والشجاعة وحب الاستطلاع، وأهمية العلم والتعليم، وحب القراءة والاطلاع وغيرها ومن القيم التي تأتي في سابق القصة، ومنها:

١ – الصداقة:

تشير هذه القيمة إلى الوقوف بجانب الصديق وقت الشدة والرخاء، حب الصديق وزيارته، المشاركة الوجدانية، المحبة والمودة بين الأصدقاء، "فالصداقة عنصر بالغ الأهمية للإنسان نظرًا لكونه كائنًا اجتماعيا بطبعه، لذلك يميل إلى عقد علاقات ألفة بالآخرين. ويسعى إلى الاهتمام بهم رغبة منه في الارتباط وعدم العزلة، وغالبًا ما تتكون الصداقات من خلال

الجماعات التى تحيط بالطفل من نفس العمر وربما فى نفس المستوى الاجتماعى والاقتصادي. وتكثر الصدقات في حياة في فترة الدراسة.

وقد ظهرت قيمة الصداقة فى أعمال الكاتب يعقوب الشارونى سواء بين الإنسان، أو بين الحيوان كرمز بهذه الصداقة وتعليمها للأطفال من خلال عالم الحيوانات التى يعجب بها الأطفال خاصة فى السن الصغيرة. ففى قصة "جميل وجميلة" من قصص كتاب أجمل الحكايات الشعبية، فهمت "جميلة" أن الفتيات لا يرحبن بصداقتها وأن هن يسعين إلى مضايقتها فقالت لهن: لماذا تعملن على إلحاق الأذى بى؟ ولماذا تَرَكْتُنَّنى ألقى بكل ما معى من حلى ذهبية وفضية في البئر؟" كل هذه التصرفات لا تدل إلا على الحقد والغيرة والكراهية لجميلة. فهنا يتعلم الطفل وبشكل غير مباشر شروط الصداقة الحقيقية وهي: الحب المتبادل–الحرص على مصلحة الصديق– وأن الصديق يقف بجانب صديقه وقت الشدة ويساعده.

وهكذا يحرص الكاتب على تأكيد قيمة الصداقة ليتعلم الطفل من أبطال القصص أن الصداقة معنى جميل يشمل الحب والإخلاص، وأن للصداقة شروطًا حقيقية، فيتعلم الطفل أن يكون حريصًا على أصدقائه ويسعى إلى الاهتمام بهم رغبة منه فى الارتباط وعقد علاقات ألفة ومحبة بالآخرين.

٢ – الكرم:

تعبر هذه القيمة عن إكرام الضيف والأهل والأصدقاء وعدم البخل وعدم الأنانية وتقديم العطاء للآخرين. وقد حرص الكاتب على توضيح قيمة الكرم من خلال أحداث قصصه المختلفة ليتعلّم الطفل هذه القيمة، ويعرف أن الإنسان عندما يكون كريما سخيا يكون محبوبا لدى الآخرين...أما البخيل فهو إنسان مكروه يبتعد عنه الآخرون وأحيانا يكون عرضة للسخرية. ففي قصة "مغامرة زهرة مع الشجرة" تظهر قيمة الكرم عندما قالت "أم علواني": أنا سأعود إلى القرية أحضر طعاما لمن يقومون بحراسة الشجرة، وفي قصة

"الصياد المسكين والمارد اللعين" ظهرت قيمة الكرم من خلال أبطال القصة، الصياد" عبد الله" الفقير وجاره. فيقول الكاتب: "وفي تلك الأيام التي يلازُمُه فيها حظّه السيّئُ كان يتجنبُ السيرَ أمام دكانِ جاره بائع الخبز، فقد كان يخجل من كرم ذلك الجار، لكن ذلك الجار ما إن يلمح "عبدَ الله" يقترب من دكانه حتى ينادِي في ودّ: "فرج الله قريب"، وكان كثيرا ما يسرع إليه حاملا "قفة" صغيرة، مليئة/ملآنة بأرغفة الخبز..وكان يضع أحيانا بعض النقود في يد"عبد الله" وهو يقول له: هذا قرض صغيرة يمكن أن ترده عندما تستطيع".

٣- الشجاعة:

تعبر هذه القيمة عن عدم الخوف من المواقف الصعبة واقتحامها ومواجهتها بثبات دون تراجع، والدفاع عن المبادئ والمثل، وقد حاول الكاتب من خلال أحداث قصصه المختلفة أن يقدم للطفل أهمية قيمة الشجاعة في دفع الشخصيات للقيام بالسلوكيات الاجتماعية المرغوبة والمقبولة مثل إبداء الرأي أو مواجهة الظلم أو مقاومة الأعداء والبعد عن السلوكيات المناقضة لذلك. ففي قصة "مغامرة زهرة مع الشجرة" تظهر شجاعة الفتاة "زهرة" في الدفاع عن الشجرة، يقول الكاتب: "قالت زهرة في جرأة : يبدو أن المهندس والمقاول هما السوس الحقيقي الذي ينخر في الشجر"، واندفعت "زهرة" تؤكد في تصميم: "سنبقى حول الشجرة نحميها من أي اعتداء جديد"، ولم يظهر الكاتب فقط قيمة الشجاعة من خلال شجاعة "زهرة"، لكن ظهرت هذه القيمة من خلال أصغر الصبيان الطفل "علواني"، فصاح في حدة "هذه الشجرة لن يقطعها أحد".

٤- حب الاستطلاع:

للقصة دور كبير فى تنمية حب الاستطلاع والفضول المعرفي لدى الطفل، فهو يقرأ عن أشياء وشخصيات وموضوعات يعرف بعضها ولا يعرف

بعضها الآخر، فيستمتع بما يعرفه وتظهر في ذهنه تساؤلات وعلامات استفهام حول ما لا يعرفه، وهذا النشاط الاستكشافي الاستطلاعي الباحث النهم للمعرفة نشاط مهم في زيادة معارف الطفل ومعلوماته، وأيضًا في تنشيط خياله الإبداعي بشكل خاص.

وقد ظهرت هذه القيمة في بعض القصص مثل قصة "الصياد المسكين والمارد اللعين"، حيث نجد أن الكاتب يظهر البطل في صورة الشخص الباحث عن المعرفة، وهو ما يحفز الطفل القارئ على أن يسأل ليعرف، فالمعرفة تنشط خياله الإبداعي، فمن خلال رحلة العودة إلى الشاطئ و"عبد الله" البحري يقود صديقه البري، والبري لا يكف عن إلقاء الأسئلة حول الجديد الذي يراه في الماء، أيضا دفع حب الاستطلاع السلطان إلى الموافقة على زيارة البيت المتواضع لهذا الصياد: "لعله يعرف بعض أسرار الحياة، ويتأمل حكمة الله عز وجل عندما يختار جل جلاله أحد عبادته الصالحين من بين الناس أجمعين لينعم عليه بمثل هذه الثروة الطائلة".

وفي قصة "بدر البدور والحصان المسحور" يقول الكاتب: فقد دفع حب الاستطلاع بطل القصة إلى زيادة معلوماته وخبراته بالآلات المختلفة وكيفية تشغيلها وتحسينها والانتقاع بها...كما دفع الأمير أحمد إلى التردد على مختبرات العلماء ليستزيد من علم الكيمياء والأدوية والأعشاب الطبية.

٥- أهمية العلم والتعليم:

كما أكد الكاتب على أهمية التعليم والعلم فهو مفتاح لفهم العالم وما يجري من أحداث من خلال قصة "مغامرة زهرة مع الشجرة"، فرغم أن أحداث القصة كلها تدور أثناء عمل "حمدان" صبي النجار عند "عم أحمد النشار"، إلا أن الكاتب حاول في ختام قصته أن يؤكد على أهمية التعليم من خلال تأكيده على أن الصبي "حمدان" أراد أن يلتحق بالمدرسة لكي يفهم اللعبة[٢٣]. أي أنه أراد أن يثبت أهمية العلم والتعليم في فهم العالم

والحياة. وفي قصة "بدر البدور والحصان المسحور" يؤكد الكاتب على أهمية التعليم والعلم فيقول ملك الزمان لأولاده الثلاثة: "لن يستطيع سلطان جاهل أن يحكم شعبا له علومه وفنونه وآدابه".

٦- **حب القراءة والإطلاع**:

تعبر هذه القيمة عن أهمية القراءة والإطلاع على أنواع الكتب والبحث عن الكتاب سواء في مكتبة المدرسة أو في مكتبة عامة، فالقراءة تُعدّ غذاء الروح ومتعة العقل والنفس، خاصة وأن الكتاب متوفر ومنتشر في أنحاء الجمهورية وبسعر في متناول الجميع. وقد ظهرت قيمة حب القراءة والإطلاع من خلال قصة "بدر البدور والحصان المسحور"، وكيف أن القراءة تفيد الإنسان في التعرف بالمعلومات وحقائق الحياة. فيقول الكاتب: أما"على" فقرأ ما كتبه علماء العرب عن تشريح العين وكيف تنقل عدسة العين الصور إلى المخ، كما قرأ ودرس علم المرايا، وقرأ كل ما كتب عن علم العدسات والبصريات وزار جميعَ من يعملون فيه حتى جمع أهمَّ ما عرفه العلماءُ حول هذا العلم، أما "أحمد" فدرس أساليب استخلاص المواد الفعالة من بعض النباتات الطبية عن طريق الغلى أو التقطير أو العصر"، كما تظهر أهمية القراءة وضرورة إقامة مكتبة خاصة للطفل ولو صغيرة من خلال ما عرضه الكاتب في قصة "الصياد المسكين والمارد اللعين"، فقد كانت "سعدية" ابنة "عبد الله البحري" حريصة على أن تقيم لنفسها مكتبة ازدحمت بالكتب.

****

كامل كيلاني

كاتبٌ وأديبٌ مِصري، اتَّخذَ مِن أدبِ الأَطفالِ دَرْبًا له فلُقِّبَ بـ «رائدِ أدبِ الطِّفل»، قدَّمَ العديدَ مِنَ الأعمالِ العبقريةِ الموجَّهةِ إلى الطِّفل، وتُرجِمتْ أعمالُه إلى عدَّةِ لُغاتٍ مِنها: الصِّينية، والرُّوسيَّة، والإسبانِيَّة، والإنجليزيَّة، والفرنْسيَّة، ويُعدُّ أولَ مَن خاطَبَ الأطفالَ عبرَ الإذاعة، وأولَ مؤسِّسٍ لمَكتبةِ الأطفالِ في مِصر.

وُلِدَ «كامل كيلاني إبراهيم كيلاني» بالقاهِرةِ عامَ ١٨٩٧م، وأتمَّ حفظَ القرآنِ الكريمِ في صِغَرِه، والْتَحقَ بمَدرسةِ أم عباس الابتدائية، ثمَّ انتقلَ إلى مدرسةِ القاهرةِ الثانَوية، وانتَسَبَ بعدَها إلى الجامعةِ المِصريةِ القَديمةِ عامَ ١٩١٧م، وعملَ كيلاني أيضًا مُوظَّفًا حكوميًّا بوزارةِ الأوقافِ مدةَ اثنينِ وثلاثينَ عامًا ترقَّى خِلالَها حتَّى وصَلَ إلى مَنصبِ سكرتيرِ مَجلسِ الأَوقافِ الأَعلى، كما كانَ سكرتيرًا لرابطةِ الأدبِ العَربي، ورئيسًا لكلٍّ مِن «جَريدة الرَّجاء» و«نادي التَّمثيلِ الحَديث»، وكانَ يَمتهِنُ الصِّحافةَ ويَشتغِلُ بالأدبِ والفُنونِ إلى جانبِ ذلك.

اعتمَدَ كيلاني مَنهجًا مُتميِّزًا وأُسلوبًا عَبقريًّا في كتابتِهِ لأدبِ الأَطْفال؛ حيثُ كانَ يُصِرُّ على ضرورةِ التركيزِ على الفُصحَى لعدَمِ إحداثِ قَطيعةٍ ثَقافيةٍ معَ الذاتِ التاريخية، كما كانَ يَمزُجُ بينَ المَنهجِ التربويِّ والتَّعليمِي، فكانَ حَريصًا على إبرازِ الجانبِ الأَخلاقيِّ والمِعياريِّ في أَعمالِهِ القصَصيَّة، بالإضافةِ إلى أنَّ أساسَ المعرفةِ عِندَهُ هو المعرفةُ المُقارَنة، فلمْ يُغرِقِ الأطفالَ بالأدبِ الغَربيِّ باعتبارِهِ أدبًا عالَميًّا، بل كانتْ أعمالُهُ كرنفالًا تُشارِكُ فيهِ ألوانٌ ثَقافيَّة عَديدة، فكانَ منها ما يَنتمِي للأَدبِ الفارِسِي، والصِّيني، والهِنْدي، والغَربي، والعرَبي، وتمثَّلتْ مَصادِرُه في الأَساطِيرِ والأَدبِ العالَميِّ والأَدبِ الشَّعبِي.

نَظَمَ الشِّعر، فكانَتِ القَصائدُ والأَبياتُ الشِّعريةُ كثيرًا ما تَتَخلَّلُ ثَنايا أعمالِه القَصصيَّة، وكانَ حَريصًا على أنْ يُنمِّيَ مِن خلالِها مَلَكةَ التذوُّقِ الفَنيِّ إلى جانِبِ الإلمامِ المَعرفيِّ عندَ الطِّفل، كما كانَ يُوجِّهُ من خلالِها الطفلَ إلى الصفاتِ الحَمِيدة، والخِصالِ النَّبيلَة، والسُّلوكِ الحَسَن، وقدْ حَرصَ أنْ يَتمَّ ذلك بشكلٍ ضِمنِي، وألَّا يَظهَرَ نصُّهُ صَراحةً بمَظهَرِ النصِّ الوَعْظيِّ أوِ الخِطابي.

كانتْ لكيلاني إِسْهاماتٌ في مَجالاتٍ أُخرى غيرِ أدبِ الأَطفال؛ حيثُ تَرْجَمَ وكتَبَ في أدبِ الرِّحلاتِ والتاريخ. وقدْ تُوفِّيَ عامَ ١٩٥٩م، مُخلِّفًا وراءَهُ تُراثًا أدبيًّا كبيرًا، يَنتفِعُ بهِ الصغيرُ قبلَ الكَبير.

أحمد محمود نجيب

قد لا نتذكر اسمه لكن لن ننسى قصة "مغامرات في أعماق البحار" التي رافقتنا في الصف الخامس الإبتدائي، ولن ننسى أيضًا مغامرات الشاطر حسن، ألف أكثر من أربعين قصة ومسرحية للأطفال، وهو أول من ألف كتاب عن الكتابة للأطفال بعنوان "أدب الأطفال علم وفن" وقد لاقى الكتاب انتشارًا واسعًا وباع ملايين النسخ في الأسبوع الأول من إصداره.

طارق البكري

كاتب لبناني، تتنوع كُتبه بين قصص للأطفال وروايات لسن المراهقة والشباب، وتتميز كتاباته بأنها عبارة عن سلاسل متصلة، كتب خمسين قصة للأطفال في إطار ستة سلاسل، وله سلسلة تربوية تتألف من مائة قصة، كما تُرجمت أعماله إلى عدة لغات، وحاز على جائزة عبد الله الثاني في مجال أدب الأطفال، وكان عضو لجنة تحكيم في العديد من الجوائز الخاصة بأدب الأطفال، وهو مدير تحرير مجلة كونا الصغير التي تصدر في الكويت.

العربي بنجلون

كاتب مغربي، من أشد المهتمين بالطفل وثقافته، يُشدد على أهمية الاهتمام بالجانب النفسي ومعالجة مشكلات الطفل النفسية –كالخجل الزائد، الخوف، عدم الثقة بالنفس– عن طريق القصة، ومن أعماله في هذا الصدد مجموعة 'قصص الطفل الناجح'، ومن كتبه أيضًا: قصص الطفل الفيلسوف، حيواناتي في قصص، عائلة الحروف، وهو عضو لجنة تحكيم جائزة المغرب للكتاب عام (٢٠١٩م)، وحصل على العديد من الجوائز منها جائزة اليونيسكو.

أحمد فضل شبلول

كاتب مصري، وعضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر. عمل في العديد من الوظائف الخاصة بالتحرير والتصحيح اللغوي والنشر والصحافة والإعلام، ويعمل حاليًا رئيس القسم الثقافي لشبكة ميدل إيست، شارك في لجان تحكيم بعض المسابقات والجوائز، منها جائزة صحافة الطفل عام ٢٠٠٩، وحصل على العديد من الجوائز، منها جائزة الدولة التشجيعية عن ديوان الأطفال 'أشجار الشارع أخواتي'، وترجمت أعماله إلى لغات كثيرة، وكتب في مجال: الشعر، الرواية، أدب الرحلات، وأدب الأطفال، ومن أعماله للأطفال: عائلة الأحجار، آلاء والبحر، حوار مع ملكة الفواكه، أحب الحياة، هل أنا كنت طفلاً؟.

جار النبي الحلو

كاتب وروائي مصري من مواليد وعشاق المحلة الكبرى، وقد استلهم منها كتاباته التي تفيض بالإبداع والعمق والسلاسة، كتب العديد من القصص والروايات وقصص الأطفال؛ منها: محاكمة في حديقة الحيوان، قط سيامي جميل، ليلة سعيدة يا جدتي، أنا ومراكب أبي، كما كتب عددًا من المسلسلات والأفلام للأطفال، منها: كنز الواحة، فرس يدق الجرس، ريش الطاووس، وقد

حصل على العديد من الجوائز عن أعماله، مثل الجائزة الذهبية عن مسلسل 'الجبرتي' وفيلم 'طيور صغيرة'، والجائزة الأولى للمحترفين عن قصة 'الكتكوت ليس كلبًا'.

ألبير مطلق

كاتب ومترجم لبناني، له مؤلفات في اللغة العربية وآدابها، ترجم مئات الكتب؛ كثير منها في التربية وفي ثقافة الأطفال. وفاز عام ٢٠١٠ بجائزة الشيخ زايد للكتاب فئة الترجمة. كتب سلاسل للأطفال، منها: أنا أقرأ، زوايا القراءة، حكايات تراثية محبوبة، ومن موسوعاته لليافعين: موسوعة كوكب الأرض الشاملة، موسوعة الحيوانات الشاملة، موسوعة المعارف العامة، كما كتب عن التربية: علم الأمومة والأبوة وكيف تربين طفلك ليكون الطفل المدهش.

شهاب سلطان

كاتب أدب أطفال من الدرجة الأولى، إنتاجه الأدبي غزير جدًا، وحصل على الكثير من الجوائز الخاصة بأدب الطفل في سنوات مختلفة، ومن أعماله:

-**في الإنتاج التلفزيوني والمسرحي:** مسلسل مغامرات عم يونس، مسرحية حابي وش الخير، ومسرحية سفروت في أعماق البحار.

-**في السلاسل الأدبية:** سلسلة شجرة الحكايات، سلسلة صندوق اللعب، سلسلة قلم الحكايات.

-**ومن الروايات:** عدالة الوحوش، التاج المفقود، رحلة الألوان السبعة، جزيرة الأحلام، أبناء النهر.

-**من القصص والحكايات:** ملكة النحل البرية، زنوبيا، التمساح وطائر القطقاط، حلم العصفور الصغير، لعبة ولعباية.

-**من القصص الإسلامية:** حكايات شعبية من الجزيرة العربية، سيد الخلق (قصة النبي محمد)، الهروب عبر القاع (قصة النبي موسي)، وجه القمر(قصة النبي يوسف).

أحمد سليمان محمود سليمان

كاتب ورسام مصري لكتب الأطفال، أبدع في مجال الرسم والكتابة وحاز على العديد من الجوائز أكثرها للرسم، منها: جائزة الدولة التشجيعية للفنون. من أشهر كتاباته: "حنجي بنجي بلدي افرنجي"، ووصلت لقائمة القصة القصيرة وكانت من أفضل ثلاثة كتب عام ٢٠١٢. وتتميز القصة بروح الدعابة المنغمسة بالقيم والأخلاق، وتعالج نفسيًا أزمة الطبقية الناتجة عن المقارنة، وقد جسدها ببساطة في الفرق بين حنجي (ورق الكرنب البلدي) وبنجي (ورق الكرنب الأفرنجي)، وأثبت من خلال القصة ألا أحد وراثيًا أفضل من أحد فالكل له دورٌ مختلف.

عبده قيصر وازن

شاعر وناقد لبناني، صدر له عدة دواوين شعر وروايتان للكبار وكتب مترجمة، وتم ترجمة شعره إلى عدة لغات، حصل على جائزة الشيخ زايد لفئة كتب اليافعين عام ٢٠١٢ عن روايته 'الفتى الذي أبصر لون الهواء'، وتدور القصة حول فتى كفيف في الثالثة عشر من عمره، وتسرد ما وراء الإعاقة الجسدية من عقل مبدع ومتميز، يستطيع التغلب على الصعاب التي تواجهه بمثابرته وإصراره على التعلم حتى وصل إلى مكانة مرموقة، رواية إنسانية من الدرجة الأولى تركز على فئة ذوي القدرات الخاصة.

صبحي شحاتة

كاتب مصري، حصل على جائزة أحسن كتاب للأطفال عام ٢٠١٨ في معرض القاهرة الدولي للكتاب، كتب في مجلات الأطفال الشهيرة مثل

قطر الندى، سمير، وميكي، صدرت له مجموعات قصصية للصغار، منها: كتاب الحكايات الجميلة، بيت مملوء بالفراشات، كنوز السماء، ومن كتاباته لليافعين 'عصفور الماء' وهي مجموعة قصصية تتناول قيمًا كثيرة وتعمل على تنمية وتطوير الوعي عن طريق اسلوب سهل ممتع ومرح.

بشارة مرجية

كاتب فلسطيني، كتب حوالي سبعين كتاب بين الأدب العربي وأدب الأطفال، من كتبه عن الأطفال: 'أدب الأطفال بين الواقع والخيال'، ومن كتبه للأطفال: 'الحزازير والفوازير'، يؤمن بأن الكتاب الجيد هو الذي يُمتع الطفل أولاً ويُنمي الجمال فيه، ثم يُعلمه عن الحياة. وكل هذا داخل اطار سهل ممتع خيالي وهادف يغرس فيه القيم والأخلاق، ولا يُهمل تعليمه العادات والتقاليد وتعريفه على الثقافات الأخرى، كما يساعده على إكتشاف مواهبه.

فاضل جمال علي

أديب فلسطيني، حائز على وسام اندرسن لأدب الأطفال العالمي عام ١٩٩٦، تميز بكتاباته الشعرية للأطفال، من أشهر مؤلفاته "خدي كالورد" ويُصنف من ضمن أدب الأطفال العلاجي عن طريق القصة، وهو مرجعًا لكل من يتعامل مع الأطفال. ومن مؤلفاته أيضًا: على طبيعتي أنا، زنودكم رايات، عاشق الأرض والمطر، مشاعر طفل، غربال.

عبده الزراع

شاعر وكاتب أطفال، وهو رئيس شعبة أدب الطفل باتحاد الكتاب، وعضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة، كما أنه مدير تحرير سلسلة سنابل للأطفال. تتنوع كتاباته بين الشعر والقصة والمسرح، وقد حصل على جوائز كثيرة أغلبها عن الشعر، منها جائزة اتحاد كتاب مصر فى شعر

الأطفال عام ٢٠١٦، ومن دواوينه للأطفال: رسمنا وردة، أراجوز فنان، العصافير بتحب النور، ديك الدويكة، بساط النور، الوردة الصديقة، غنواية في لعباية، قصاقيص قصاقيص، ومن قصصه للأطفال: دكان العم أحمد، نخلة الشيخ فارس.

فاروق سلّوم

كاتب وشاعر عراقي، أصدر العديد من الكتب والقصائد للأطفال، وكان رئيس تحرير مجلتي والمزمار، ومدير عام لدار ثقافة الأطفال. ومن عناوين قصائده الشعرية للأطفال: قوس قزح، أغاني الحصان، عشرة أفكار، كما حصل على جائزة الألكسو عن أعماله الشعرية للأطفال.

****

الفصل الخامس
نماذج من أدب الأطفال

قصص تربوية للأطفال

أولا: نماذج نثرية

قصة صانع الأحلام

تعيش ريم في بيت واسع جميل تحيط به أشجار عالية من كل اتجاه..وحديقة جميلة مزروعة بالزهور والنباتات الخضراء المتنوعة.. وفي زاوية منها ألعاب مسلية، في بيت ريم ألعاب متعددة الأشكال والأحجام.. سيارات.. طائرات.. عرائس تمشي تلعب وتغني.. أقراص حاسوب كثيرة فيها ما تشتهيه من الألعاب الالكترونية.. وغير ذلك كثير كثير...ريم عمرها عشر سنين..تعيش مع أسرتها الصغيرة المكونة من أب وأم وثلاثة أخوة أكبر منها..ريم تعيش مع أسرتها سعيدة.. تقضي معظم وقتها بعد المدرسة في البيت والحديقة.. مدرسات ريم يحببنها لأنها متفوقة ومتميزة...وفي يوم طلبت إحدى المدرسات من طالبات فصل ريم أن تتحدث كل واحدة منهن عن أحلامها.. فرحت الصغيرات بذلك.. وتسابقن لرواية أحلامهن..

سعاد حلمت بأنها تحلق في الفضاء تركب السفن الفضائية وتطير بالهواء من نجمة الى نجمة.. نورا حلمت بأنها صارت أما وجدة وعندها بنات وأولاد وأحفاد... نسرين تحلم بالسفر والتنقل بين البلاد... قالت إنها زارت في منامها دولا كثيرة، وبعضها زارتها حقيقة، مثل مكة والمدينة والقاهرة.. وتحلم أن تزور باريس لتشاهد ديزني لاند وبرج ايفل... منى تحلم أنها من أصحاب الملايين.. تعيش في قصور وتملك سيارات لا حصر لها ولا عدد.. ومضت الطالبات يتسابقن في الحديث حتى جاء دور ريم...

قالت المدرسة: نعم يا ريم، هيا.. لم يبق غيرك.. أخبرينا بماذا تحلمين؟ لم تتكلم ريم.. احمر وجهها خجلا.. قالت: لا أعلم.. أنا... أنا في

الحقيقة لا أعرف ما معنى أحلام؟ استغربت المدرسة: ماذا؟؟ غير معقول.. أنت تمزحين.. جميع الطالبات صرن يضحكن بسخرية: عجيب.. إنسان حي لا يحلم.. غير معقول.. ألا تعرفين ما هي الأحلام؟ قالت المدرسة ذلك بدهشة.. وظلت زميلات ريم يضحكن طوال النهار...

عادت ريم الى بيتها حزينة.. رأتها أمها.. أحسّت بحزنها.. سألتها: ما بك يا حبيبتي؟ أخبرتها ريم بما حدث.. أصاب الأم العجب.. قالت: لا تقلقي يا حلوتي.. مشكلتك بسيطة وسنجد لها حلا..

في عصر ذلك اليوم ذهبت ريم برفقة أمها الى طبيب مشهور يدعى صانع الأحلام.. روت ريم للطبيب قصتها.. وبدت طوال الوقت حزينة... قال الطبيب مبسطا الأمر ومخففا الألم عن ريم: لا تحزني يا ابنتي.. الأمر بسيط ويحدث كثيرا.. قام الطبيب على الفور وأحضر أدوية عجيبة غريبة.. صار يخلط بعضها مع بعض..هذه نقطة وتلك نقطتان.. وهاتيك ثلاث.. وضع الطبيب الخلطة في أنبوب زجاجي شفاف وقال لريم: اسمعيني وانتبهي لما أقول.. ضعي ثلاث نقاط في عينك اليمنى ونقطتين في عينك اليسرى قبل أن تنامي مباشرة ولا تفتحي عينيك حتى تستيقظي في الصباح... وغدا تعالي لتخبريني عن أحلامك.. سوف تأتي الأحلام وتهجم عليك مثل خيول مسرعة... كان صانع الأحلام متأكدا من كلامه ومطمئنا لما يقول.. فرحت ريم وأمها وعادتا الى البيت سعيدتين بما حدث...

في صباح اليوم التالي رن هاتف صانع الأحلام.... كانت ريم هي المتصلة.. أخبرته أنها لم تحلم على الاطلاق.. ولم تشعر بأي تغيير.. فكر الطبيب.. هذه أول مرة لا ينفع الدواء.. قال بعد تفكير: اسمعي يا ريم.. أضيفي نقطة أخرى لكل عين... وفي اليوم التالي، اتصلت ريم لأن العلاج لم يؤد الى نتيجة.. قرر الطبيب تغيير خلطة الدواء.. ظن أن الدواء فيه خطأ.. كرر المحاولة وأعاد تصنيع الدواء من جديد وطلب من ريم الطلب

نفسه لكن التجربة كانت فاشلة... أصيب الطبيب بإحباط شديد.. كيف؟ لا يمكن؟ جربت الدواء على نفسي ونجح.. جربته على كثير من الناس... يجب أن اكتشف السر.. يجب أن اكتشف السر..

ذهب الطبيب الى بيت ريم، فاستقبلته أسرتها جميعا.. كلهم يريدون اكتشاف سر ريم.. طلب الطبيب صانع الأحلام من والد ريم أن يسمح له بدخول غرفتها..والتجول في أنحاء المنزل، لأن هناك مشكلة يجب اكتشافها.. فتح الطبيب غرفة ريم.. وجد أجمل الأثاث.. وجد ثياباً رائعة باهظة الثمن.. وفي كل زاوية من غرفتها رأى لعباً متراكمة.. أحس الطبيب الذي يصنع الأحلام للناس بأنه عاجز عن صنع حلم جديد.. ريم لديها كل ما تريد.. تحصل على كل الأشياء الجميلة الرائعة حتى دون أن تطلبها.. دون أن تحلم بها.. فكر الطبيب.. ترى أين المشكلة؟؟؟ لا بد من مشكلة؟؟ فجأة قفز الطبيب صائحا: وجدتها.. وجدتها.. التف حوله الجميع.. بصوت واحد: ماذا.. ماذا.. ماذا وجدت؟ هز الطبيب رأسه ولم يتكلم.. ثم قال موجها كلامه لريم: غداً.. غداً... غداً أعود ومعي دواؤك الشافي بإذن الله... فرحت ريم.. فرحت أسرتها.. ولم تستطع ريم النوم تلك الليلة..

في صباح اليوم التالي عاد صانع الأحلام بوقت مبكر يحمل كيساً كبيراً كبيرا... ريم شعرت بالخيبة ما أن رأت الرجل.. ظنت أن الطبيب أحضر لها ألعاباٍ جديدة.. أنا لا أريد ألعاباٍ.. أريد أحلاماٍ..ضحك صانع الأحلام: أعلم ذلك.. لا تقلقي.. لم ينتظر الرجل لحظةً ليشرح.. كان شوق أسرة ريم أكبر من الانتظار... وضع الكيس عن ظهره.. فتح الكيس في بهو غرفة الاستقبال.. وأخرج منه كتباً جميلة رائعة مليئةً بالدهشة والروعة والأحلام.. كانت الكتب هذه من مكان بعيد يعيد.. كتب تتحدث مع بعضها.. وتتحدث مع الناس.. كتب تتكلم وتحاور وتفرح وتضحك وتبكي.. وتتألم. أصيبت ريم بالحزن... قالت متهكمة: كتب.. كتب.. كتب... يا لهذه

المفاجئة.. ظننتك ستأتيني بدواء وأتيتني بما يصيبني بالملل.. قال لها: انتظري واختاري واحداً من الكتب.. حملت ريم أحدها.. سمعت الكتب تتكلم ترحب بها.. ترقص بين يديها... صاحت بدهشة: واو كتب تتكلم وتتحرك.. قال لها: بل أكثر من ذلك بكثير... سوف تكتشفين حقيقتها بنفسك.. صاحت ريم: أشكرك يا عمي العزيز... هذا فعلا ما أفتقد إليه.. وأحتاجه.. أشكرك من قلبي.. قال لها مؤكدا كلامها: لديك كل الأشياء الجميلة الرائعة.. لكنك لا تملكين مكتبة مثل هذه المجموعة من الكتب.. إنها قصص رائعة.. اقرئي كل يوم قصة.. واحلمي كما تشائين وبما تشائين.. وخرج صانع الأحلام سعيداً باكتشافه.. متأكداً أنه اكتشف سر ريم وأنها ستحلم دون شك...

في اليوم التالي ذهبت ريم الى مدرستها ركضاً.. بحثت عن مدرستها قبل دخولها الفصل.. قالت لها بفرح كبير ظاهر: آنستي.. آنستي.. أريد أن أخبرك عن حلم جميل رأيته ليلة أمس.. وصارت ريم تروي للمدرسة ولزميلاتها بالمدرسة عن أحلامها.. روت لهن أنها حلمت بأمير يعيش في مملكة بعيدة.. وكان أبوه الملك يعدّه لتولي العرش من بعده، يدربه على حمل السيف وقتل الناس وظلم الرعية بلا ذنب ولا سبب، لكن الأمير الصغير لم يكن راضيا عما يفعله أبوه، فقرر الهرب الى مدينة بعيدة من مدن المملكة، وغير ملابسه وشكله وعاش بين الناس واحدا منهم.. وفي المدينة عمل الأمير الصغير عملاً بسيطاً مرهقاً.. همه خدمة الناس ورفض الظلم.. ولما رأى صاحب عمله الجديد اخلاصة ووفائه وصدقه وايمانه، زوجه لابنته الوحيدة..وعاشا بسعادة وهناء.. وفي المقابل كان الملك حزينا على فقد ابنه لوحيد وعاش مهموماً كئيباً، وأصبح الرعب يلازمه لما فعل بالشعب من ظلم وتنكيل... لكن الأمير الصغير عندما علم بما جرى لوالده، عاد إليه يواسيه وينصحه بترك الظلم وان يعدل بين الناس. فاعتذر الأب من ابنه ومن الشعب وتنازل عن الملك لابنه الشاب الذي حكم بين الناس وكان الناس

سعداء بحكمة العادل وعاش بينهم دون أن يشعرهم بأنه ملك عليهم... وراحت ريم تروي لصديقاتها ومدرستها كثيراً من القصص والأحلام.. وكان جميع من في الفصل مستغربات مندهشات.. لكنهن كن سعيدات بما ترويه لهن من حكايات رائعات يوما بعد يوم...

وفي أحد الأيام، جلست ريم في غرفتها بين تلال القصص الجميلة، وفيما كانت تقلب بينها وقع بصرها على كتاب كبير ضخم لم تلحظ وجوده من قبل.. قالت: ياه.. ما هذا الكتاب الكبير.. لم أره قبل الآن.. أزالت الكتب الصغيرة من فوقه.. حملت الكتاب.. كان ثقيلاً جداً.. أعادته الى الأرض.. تأمّلت غلافه السميك الثقيل.. قرأت العنوان التالي بصوت مرتفع: (فراشة الغابة الغريبة) ثم قالت: تبدو قصة رائعة.. يا له من كتاب..

شعرت ريم برغبة شديدة في قراءة القصة.. لكن القصة طويلة طويلة.. وتحتاج الى ساعات وساعات لقراءتها.. وموعد نومها اقترب.. نظرت ريم الى الساعة.. الوقت تأخر.. قالت: لا بأس.. سأقرأ صفحات قليلة ثم أكملها غدا.. ومن يدري ربما عندما أنام أحلم بالفراشات والزهور.. وصارت ريم تضحك وتضحك... أمسكت ريم الغلاف الثقيل وبدأت ترفعه بصعوبة.. أحست بتيار هوائي شديد يمتصها الى داخل الكتاب.. وقبل أن تفكر بالمقاومة اختفت ريم داخل الكتاب الضخم... وهدأت الغرفة تماماً...

لم تدرك ريم ما حدث.. كانت المفاجاة صدمة.. لم تكن تتوقع ذلك أبداً.. فتحت عينيها على ضوء قوي قوي.. نظرت حولها.. تأملت المكان، وجدت نفسها في بستان من الورود الجميلة.. والنباتات الرائعة من ألوان وأحجام مختلفة.. لاحظت ريم أن هذا البستان التي هي فيه الآن هو نفسه البستان الموجود على صفحة الغلاف.. فيما بدت الغابة العجيبة الغريبة ملاصقة للبستان.. قالت ريم: ما هذا الذي يحدث..غير معقول.. نظرت ريم حولها من جديد وتساءلت: ترى أين الفراشة؟؟ لا أراها الآن! ثم قالت: يا

للعجب.. هل يعقل أنني الآن في قلب الكتاب.. ليتني أستطيع قراءة القصة لأعرف ماذا سيحدث لي الآن..

نظرت ريم تحتها.. وجدت نفسها فوق شيء ناعم.. رائحته طيبة.... ترى ما هذا الشيء؟؟ أرادت القيام لكنها لم تستطع.. اعتقدت أنها ربما تكون مكبلة.. لكنها أحست بخفة شديدة.. وبدأ المكان الذي وقعت فيه يهتز ويتراقص.. خافت ريم.. أصابها رعب شديد.. أرادت تحريك يديها والتمسك بطرف شيء ما لتتمكن من النهوض.. لكنها لم تستطع.. نظرت الى يديها.. كانت المفاجأة الكبرى.. لقد تحولت ريم نفسها الى فراشة الغابة الجميلة..

اكتشف ريم أنها أصبحت تشبه تماماً الفراشة التي على غلاف الكتاب.. لم تستطع ضبط نفسها.. خافت.. صارت تبكي.. سقطت دموعها عل المكان الذي كانت تستلقي فوقه فاكتشفت أنه ليس سوى وردة كبيرة جميلة.. اهتزت الوردة عندما سقطت دموع ريم عليها وقالت: لماذا تبكي يا ريم.. لقد سقطت دموعك الدافئة على وجهي.. حضنتها الوردة برفق.. مسحت دموعها بأوراقها الملونة.. قالت بصوت جميل يفوح منه العطر: لا تحزني يا حبيبتي؟ نحن نترقب وصولك منذ زمن بعيد بعيد.. صبرنا كاد ينفد.. فقصتنا تحتاج لأحلامك لتبدأ وتكتمل..

تفاجأت ريم الفراشة.. وبدا لها أن سيل المفاجآت ستتوالى ولن تتوقف.. قالت بخوف: يكفي يكفي.. أنا نائمة أليس كذلك أريد العودة الى البيت.. أريد أن أعود فتاة صغيرة كما كنت... لا أريد أن أكون فراشة... حركت وردة كبيرة لم تلحظها ريم من قبل عنقها الطويل.. كانت تسمع هذا الحوار وقالت بصوت ساحر أجمل من صوت العندليب: أتدرين أيتها الفراشة الجميلة، أن مصير هذه الورود كلها وتلك الغابة بأسرها متوقف عليك.. فأنت جئت لتنقذينا جميعا من خطر أكيد.. جئت لتنقذينا مما نحن فيه من جمود وخمول وكسل.. أشياء تشبه الموت.. فهذه النسمة العطرية اللطيفة التي مرت

منذ قليل جعلت جميع الأزهار تتراقص طربا. لم تأت الا من أجلك فرحا بك وترحيبا بقدومك.. فنحن منذ سنين ننتظر أن تأتي إلينا وتنقذينا.. ننتظر فراشة كما أخبرنا حكماء غابتنا.. قالوا بأن يوماً ما ستأتي فراشة رائعة وتنقذنا من جمودنا وتحجرنا.. ونحن كدنا ننسى هذا الكلام ونظن أنه لن يتحقق لولا قدومك الآن أيتها الفراشة.. فلا تتركينا فهذه مسؤوليتك.. في هذه اللحظة.. اهتزت الفراشة بقوة بعدما صفقت الوردة التي تحملها بأوراقها.. لتعلن لجميع الورود اشارة الاستيقاظ من السبات والعودة للحياة.. العودة للأرض.. للحب.. للوطن.. للعطاء.. كانت الورود كلها غارقة بنوم عميق.. والطبيعة غائبة في سبات طويل.. تترقب وصول الفراشة لتوقظها وتحييها من جديد.. على الفور ابتهجت الطبيعة وسمعت ريم أصوات الطيور تغني.. والمياه تتسابق في النهر وتتدفق من الجدول.. والضفادع تنق.. والنسائم تملأ المكان سحرا وروعة.. عادت زقزقة البلابل تُسمع في كل مكان.. وغنت كما لم من قبل.. رأت ريم كل مشاهد الطبيعة السحرة.. وسمعت ألحانا لم تسمعها من قبل.. لم تصدق عينيها ولم تقتنع بما رأت وسمعت ووعت...

رفعت ريم الفراشة رأسها.. نفضت جناحيها.. كانا جميلين بديعين، تأملت منظرها البهي الرائع لاول مرة.. لم تدرك ما سر هذه الفراشة التي تأتي فجأة لتحيي الطبيعة البديعة بعد زمن سبات طويل.. أدرك طائر البجع العجوز ما يدور في رأس ريم... اقترب منها وقال لها بصوته الرخيم العريض:أيتها الفراشة الجميلة.. قصتنا كلها تدور حول فراشة.. ونحن أشياء نجمل القصة ولسنا أبطالاً لها.. الكتاب الذي دخلت إليه رسمه رسام فنان ساحر، مات قبل أن يكمل القصة كلها ويرسم الفراشة البطلة.. رسم كل الصور.. وتخيل شكل الفراشة على الغلاف.. تخيلها مثلك أنت تماماً.. لكنه لم يتمكن من رسمها في داخل الكتاب... وقد قال حكماؤنا منذ زمن طويل أن يوماً سيأتي وتدخل في الكتاب فراشة جميلة اسمها ريم تحيي قصتنا

وتعيدنا الى عالم الحياة ليقرأها أطفال العالم... فرحت ريم الفراشة لاختيارها بطلة لقصتهم.. فبعد أن كانت لا تحلم.. ولا تعرف معنى لأحلام.. صارت حلما لآخرين.. وبطلة حقيقية لقصة جميلة يحلم بها أطفال العام...

وقفت ريم تتأمل بستان الزهور، وصارت تتنقل ببصرها من مكان الى آخر.. شاهدت الأزهار تتمايل والأشجار تهتز من الطرب.. والغصون تتشابك كأنها تتصافح، يهنئ بعضها بعضاً.. تطلعت ريم الى البجعة الحكيمة وسألتها: "والآن ماذا علي أن أفعل..؟" قالت البجعة: "عيشي حياتك بشكل طبيعي.. وكل أبناء الطبيعة سيكونون بخدمتك...". هنا بدأت ريم تشعر بالجوع.. فدعتها الزهور لتناول وجبة شهية صحية طبيعية من رحيقها البديع.. وصارت الزهور تقول: تعالي الي يا ريم هنا طعم الليمون قالت أخرى: لا تعالي الي أنا لدي طعم ليس له مثيل... وصارت كل زهرة تعرض طعمها اللذيذ على ريم تطمع أن تكون أول من تأكل منها في الغابة الجميلة.. وصارت الزهور تتمايل وتتحرك وتتنافس فيما بينها لتحظى بشرف ملامسة الفراشة ريم.. استغربت ريم في البدء: كيف يمكن لي أن آكل رحيق الأزهار.. قالوا لها : الآن أنت فراشة ولست إنسانا.. تعالي اقتربي لا تخافي.. اقتربت ريم من رأس وردة قربها جربت طعمها. كان لذيذا جدا.. قالت: ما أطيب طعمك أيتها الوردة الطيبة.. وراحت ريم تتنقل من وردة الى وردة تأكل من كل وردة قليلا وتمتص رحيقها الجميل.. لكن ريم توقفت عن أكل الرحيق ووقفت مستغربة مندهشة بحالة صدمة... وقالت: غريب حقاً.. أنا لست فراشة حقيقية وآكل رحيق الأزهار..!!! ياللعجب.. شيء غير معقوول.. لا يصدق. قالت البجعة الحكيمة: أنت الآن فراشة ولست انسانا، وطعامك طعام فراشات. لكن ريم لم تقبل هذه الفكرة... وصاحت: أريد لبنا.. أريد خبزا وقطعة بسكويت.. ضحكت الأزهار.. قالت زهرة: ماذا.. ماذا؟ بس.. بس.. بس..ك... ك..وييييت.. ما هذه الكلمة الغريبة...؟؟؟ ضحكت

البجعة الحكيمة وقالت: إنها نوع من الحلوى يحبها أطفال البشر.. قالت وردة كانت صامتة وتراقب ما يحدث: لكنك لم تعودي طفلة أيتها الفراشة الجميلة.. هيا تعالي إلي.. أنا أقدم اليك رحيقي كله وليمة لك.. فمنذ أن رسمني الفنان لم أحظ بهذا الشرف العظيم.. هيا أرجوك.. رفضت ريم الفراشة كل هذا الكلام.. ونفضت جناحيها.. حملها الريح برفق حتى بلغت الغابة القريبة...

ما أن وصلت ريم الى الغابة.. وكانت أشجارها قد عرفت بقدوم الفراشة.. صارت تصفق بكل قوة ترحيبا بقدومها.. ومن شدة التصفيق خافت الفراشة وكادت تسقط على العشب.. فبسطت شجرة قريبة منها غصنا لينا من أغصانها والتقطتها بأوراقها الخضراء الندية.. وقالت الشجرة: مرحبا بك يا أجمل فراشات الدنيا.. نحن ننتظرك منذ زمن بعيد.. لا يليق بنا أن نتركك تقعين على أرض الغابة.. نخن هنا كلنا بخدمتك أيتها الجميلة اللطيفة.. كم اشتقنا الى وصولك.. كاد اليأس يصيبنا بالموت.. نحمد الله على وصولك بالسلامة.. قالت الفراشة مندهشة أكثر وأكثر: يا لغرابة ما يحدث.. يا لهذا العالم الغريب.. كل شيء يتكلم ويتحرك...

تحركت أغصان شجرة كبيرة مسنة.. قالت بصوت خافت: نعم يا صغيرتي.. صدقي.. أنظري الى عمري الطويل.. وراقبي أغصاني التي شاخت.. وأوراقي التي جفت.. وتأملي جذعي الضخم وجزوري التي نبتت الى سطح الأرض.. هل سأكذب عليك وأنا في هذه السن؟؟ تعالي يا حلوتي،، تعالي لأحضنك بين ضلوعي الطرية.. خافت الفراشة على ملمسها الناعم أن يتجرح بين أغصان الشجرة.. تراجعت الى الخلف.. كان جوعها يشتد وبطنها تؤلمها من الألم. صاحت: يكفي.. يكفي.. أريد طعاما.. أنا جائعة جائعة.. جائعة.. نادتها أشجار الموز والخوخ واللوز....: تعالي الينا وذوقي طعمنا اللذيذ الشهي... تعالي لا تخافي..

نظرت الفراشة نحو ثمار الأشجار التي تتدلى كأروع ما تكون.. رغبت فعلا بالاقتراب منها.. فقد كانت شديدة الجوع.. ولما همت بالاقتراب منها اعترض طريقها طير صغير سريع الطيران.. قال لها بلهفة: لا تصدقي لا تقتربي منها .. ثمارها سامة.. ستقتلك أيتها الجميلة..هذه الأشجار سامة.. تريد قتلك والتخلص منك لانها تحب النوم.. وتريد أن تظل كل الطبيعة نائمة ساكنة خاملة مثلها.. هي لا تحب الحياة.. ابتعدي عنها... ابتعدي.. تعجبت ريم من هذا الطائر الجميل كيف يتكلم.. قالت: لماذا تقتلني..ولماذا لا تحب أن تستيقظ الطبيعة..؟! قال العصفور: لأنها لا تحب الحياة.. ولا النشاط.. كل الأشجار كانت سعيدة بوصولك الا تلك الأشجار الثلاث.. لم تقتنع ريم.. نادتها شجرة الموز: تعالي يا حلوتي.. هذا العصفور يريد أن يظل يأكل ثماري لوحده.. ويريد أن يبقيها للطيور أمثاله.. تعالي لا تخافي.. كانت ريم جائعة جدا.. وهذه الأشجار هي الأشجار الوحيدة القريبة منها وهي تريد أن تأكل بسرعة.. أرادت الاقتراب من شجرة الموز وتناول موزة واحدة تسد بها جوعها.. حاولت الاقتراب منها فهبت ريح قوية حالت بينها وبين الشجرة.. قالت لها لاريح: سأحملك الى مكان جميل ملئ يالعسل الطيب الشهي.. والثمار اليانعة الرائعة الحلوة الشهية.. فنحن أحباء الطبيعة نريدك وسنحميك من الخطر..

فجأة وقبل أن تفرك ريم الفراشة بما حدث.. وجدت نفسها في ناحية أخرى من الغابة، قرب واحة جميلة يحيط بها النخيل من ل جانب..والأشجار منتشرة على ضفافها.. وقرب الماء وردة كبيرة مثل كأس ضخم ملئ بالعسل الذهبي البراق.. اقتربت ريم بسرعة ناحية العسل تريد تناوله بسرعة.. فجأة خرجت سمكة من الماء وصاحت بها: انتبهي انتبهي.. هناك أفعى خطرة دخلت منذ لحظات في العسل.. لا تقتربي منها ستقتلك.. ترجعت ريم الفراشة.. قبل لحظة واحدة من ظهور رأس الأفعي الشريرة.. كادت تفتك بها

لأنها تحب الحياة.. فاهتزت البحيرة غاضبة وانقضت الطيور من كل جانب تضرب الأفعي بمناقيرها.. هربت الأفعىلكنها قبل أن تهرب بثت سمها في العسل لكي يموت من يأكل منه..

ذهلت ريم من هذا الشمهد الرعب.. كادت تموت لولا السمكة والطيور.. راحت ريم تشكر السمكة والطيور على ما فعلوه من أجلها.. لكن ريم ما زالت شديدة الجوع.. التفتت فرأت شجرة جوز هند ضخمة.. رأت الشجرة تنظر اليها بلطف وحنان.. وتحرك أغصانها تدعوها اليها.. لتأكل من ثمارها الشهية وترتوي من مائها الحلو اللذيذ.. صممت ريم هذه المرة أن تصل الى الشجرة مهما كانت الأخطار.. صارت الطيور تناديها بكل قوة.. الأشجار تهتز بعنف.. الريح لم تستطع منع ريم.. مياه الواحة تهتز بعنف.. زهور البستان صارت تصيح.. الجميع: توقفي. ابتعدي.. لكن ريم لم تعد تهتم.. فهي إن لم تأكل ستموت من الجوع...

كات ريم في قمة جوعها.. قالت: سآكل من الشجرة مهما كان الخطر.. ولو كانت سامة من الأفضل لي أن أموت من السم وأنا شبعانه خير من أن أموت من الجوع... وصلت ريم الى الشجرة.. ضحكت الشجرة ضحكة ماكرة.. قدمت لريم أكبر ثمارها.. وما أن فتحت ريم فمها لتأكل حتى أحست بهواء يطير بها من جديد.. ولم تستطع المقاومة.. راحت تسقط وتسقط في واد عميق عميق... ثم وقعت على أرض طرية... نامت على الفور من شدة التعب...

بدأ النور يدخل المكان قليلاً قليلاً.. سمعت ريم أصواتاً حولها، ريم .. ريم.. استيقظي.. حان وقت ذهابك الى المدرسة.. فتحت ريم عينيها.. لم تصدق أنها لا تزال على قيد الحياة.. وأنها عادت لغرفتها.. وقفت على قدميها تتأمل جسدها كله.. كانت مندهشة من كل ما حدث... بحثت عن الكتاب فوجدته لا يزال في مكانه.. تأملت غلافه فرأته كما هو ولكن الفراشة

اختفت.. لاحظت أن الأشجار والزهور والطبيعة حزينة تنظر إليها بألم.. قالت ريم لأمها: إني جامعة جائعة... أكاد أموت من الجوع.. ضحكت الأم: ترى بماذا كنت تحلمين الليلة الماضية؟؟ نظرت ريم الى يديها.. قالت: أحلم؟؟ بماذا أحلم؟؟ أحلم؟ لم أكن أحلم.. ريم لم تخبر أمها بقصتها.. لم تخبرها بقصة الكتاب.. قصة فراشة الغابة... لأنها بالتاكيد لن تصدقها.. وستقول لها بأنها صارت تتخيل أشياء لا وجود لها.. لكن ريم ظلت تحلم وتحلم وتحلم.. دون أن تقترب من الكتاب السحري.. فقد أغلقته بإحكام ووضعته في صندوق حديدي ودفنته في أعماق حديقة المنزل..

****

قصة ماذا أقول لأمي

سالمٌ يُحِبُّ كثيرًا تلك الْحَلْوَى التي تصنعُها لهم أمُّه بيديها، وبين الحِينِ والآخَرِ يطلب سالم من أمِّه الحبيبة أنْ تُجَهِّزَ لهم نوعاً جديدًا من الحلوى، وذات مساء اشتاق سالم كعادتِه لتذوُّق الحلوَى المنزليَّة فطلب من أمِّه أنْ تُجَهِّزَ لهم بعضَ الحلوى.

وهنا طلبتِ الأمُّ من صغيرِها سالم الذَّهاب للمتجر لشراء بعض البيض لتُعِدَّ لهم بعض الحلوى.خرج سالم مسرعاً لشراء البيض، وفي الطَّريق قابله جارُه سعيد، سأله سعيد عن وِجْهَتِه، فأخبره سالم أنَّه مُتَّجِهٌ للمتجر لشراءِ بعض البيض، فأخبره سعيد أنَّه مُتَّجِهٌ لنفسِ المتجر لشراء بعض حاجياتِ دَارِهِمْ.

سَارَا معاً حتَّى وَصَلا للمتجر واشترى كلٌّ منهما حاجتَه، دَفَعَ كلٌّ منهما حسابَ ما اشتراه لصاحب المتجر، ثمَّ سَارَا معا في رحلة العودة، وفِي أثناء سيرِهما لم ينتبِهْ سالم لتلك الحفرةِ الصَّغيرة في الطريق فتعثَّرَتْ قدماه وسقط أرضاً وتكسَّر البيضُ كلُّه، أخذ سالم ينفض ثيابه وهو يبكي بشِدَّةٍ بينما سعيد يحاول أن يُهَدِّئَهُ دون فائدة، سالم يبكي بحُرْقَةٍ لأنَّه لم ينتبهْ للطَّريق جَيِّدًا فتسبَّب في كسر البيض..

ماذا سيقول لأمِّه؟ التي ائْتَمَنَتْهُ على الذَّهاب لشراء البيض، ستغضب منه كثيرًا ورُبَّما ستُعاقبه.

ماذا سيقول لها كي تغفرَ له وتُسَامِحَه، ارتسمتْ علاماتُ التَّفكير على وجه سعيد قبل أن يقولَ: سأُخبرك بفكرةٍ رائعةٍ لتنجوَ من العقاب...أخبِرْ أمَّك أنَّ النُّقودَ سقطتْ منك وأنَّك بحثْتَ عنها فلم تَجِدْهَا، لم يتقبَّلْ سالم تلك الفكرة مطلقاً، هل يكذب لينجوَ من عقابِ أمِّه، وماذا عن عقابِ الله، ولكن سعيد أخذ يُزَيِّن له الفكرة ويُخبره أنَّها كِذْبَةٌ بيضاءُ لا تضرُّ.

افترق الصديقان واتَّجه كلٌّ منهما لدارِه وما أن وصل سالم للدَّار وطرق الباب حتى فتحتْ أمُّه، تأمَّلتْه الأمُّ قليلاً مندهشةً من ثيابه المُتَّسِخة، سألتْه عن البيض...تردَّد قليلاً..ماذا سيقول لها...هل يُنفِّذ خطَّة سعيد ويكذب.. أم يُخبرها بالحقيقة.

وفجأةً

ارتمَى سعيد في حِضن أمِّه ومن بين دموعه المُنهمرة أخذ يُخبرها بكلِّ ما حدث، وهنا احتضنتْه أمُّه بشدَّةٍ وهي تقول في حنانٍ: حمدًا لله أنَّك لم تكذبْ..وحمدًا لله على سلامتِك يا صغيري.. سأُعطيك نقودًا أخرى لتذهبَ لشراءِ البيض وسأُعِدُّ لكَ الحلوى التي تُحِبُّها.

نتعلم من القصة:

– أن الكذب كذب وليس للكذب ألوا .

– طاعة الأم ، وعدم الكذب عليها مهما كان الأمر.

– حب الأم لأبنائها وعطائها وفضلها عليهم يفوق كل شي .

– في الصدق نجاة لصاحب .

– عدم الاستماع لنصائح الآخرين الغير صحيح .

– والديْك أكثر الناس حبًّا لك وحرصًا على مايهمك.

****

قصة أذن الأرنب الطويلة

يحكى في قديم الزمان ...عن عائلة صغيرة من الأرانب تعيش في جحر جميل، ولها من الأطفال اثنان: أرنب وأرنوبة...وذات يوم قالت الأم لولديها: إني ذاهبة لآتيكما بجزرة كبيرة من الحقل الذي بقربنا، وصيتي لكما ألا تغادرا المنزل لأنكما صغيران، والعالم الذي حولنا كبير، وما أن ابتعدت الأم..حتى أسرعا إلى الباب ينظران من ثقبه.

قال أرنب لأخته أرنوب: إن أمنا على حق فالعالم كبير، ونحن مازلنا صغيرين.

ردت أرنوبة: هذا صحيح...ولكن نحن مثل أمنا، لنا من الأرجل أربعة، وذيل مثل ذيلها، هيا لنخرج لنرى قليلاً من هذا العالم، فوافقها أرنب. وخرجا..

ثم أخذا يعدوان في الحقل الواسع يمرحان ويقفزان في كل مكان بين الخضرة والفواكه، وفجأة وقع بصرهما على قفص من الفواكه ذات الرائحة الشهية..اقتربا منه.

قالت أرنوبة إنه جزر.. تعال يا أرنب أسرع.. إنها فرصة لا تعوض، وما إن قفز الاثنان على القفص، حتى وقع وتناثر ما بداخله، أراد الهروب بسرعة لكنهما فوجئا بفتاة جميلة أمامها.. قبضت عليهما..ورفعتهما من آذنيهما إلى أعلى..وهي تهزهما بقوة: لقد أضعتما جهد يوم كامل من العمل المضني..وألقت بهما في حديقة المنزل وهي تقول: ابقيا هنا.. وتذكرا أنكما خرجتما إلى العالم مبكرين.

هذا ما قالته الفتاة.

ونظر الاثنان أحدهما إلى الآخر، وقد أطالت آذنيهما، ولأول مرة في حياتهم سمعا همسًا خفيفًا حولهما، ثم سمعا باب الحديقة يفتح عندئذ..وفي لمح البصر كانا خارج الحديقة يقفزان بقوة في طريقهما إلى البيت..ومن وقتها

وأذنيهما قد أصبحت طويلة وصارا يقفزان لأقل حركة، ويقال بفكاهة " لهذا أذن الأرنب طويلة ".

نتعلم من القصة:

- طاعة الوالدين ففي طاعتهما النجاة .
- عاقبة عدم سماع كلام الأم.
- الأرنب طعامه الجزر.
- خلق الله جميع المخلوقات محبة للحرية.

****

قصة عن آداب الزيارة والاستئذان

عاد مازن من الخارج ، وهو حزين ويبكي ، فسألته والدته عن سبب هذا البكاء، فأخبرها مازن: ذهبتُ لزيارة صديقه هيثم ، وعندما وصلت للمنزل، وجدت الباب مفتوحًا ، فلم أطرق الباب، بل دفعت الباب ودخلت دون استئذان، وأخذت أنادي على صديقي هيثم، فسمعت ندائي والدته، وفوجئت بوجودي وسألتني : كيف دخلت المنزل يامازن؟

فأخبرتها: دخلت من الباب.

قالت: ولماذا لم تطرق الباب يامازن؟

فأجبتها: الباب كان مفتوحًا ن فدخلت أبحث عن صديقي هيثم.

فقالت أم هيثم: كان يجب عليك أن تطرق الباب يامازن، فالدخول بدون استئذان ليس من آدب السلوك الصحيح.

وسألتني عن سبب الزيارة ، فأخبرتها أني جئت ليشاركني هيثم في اللعب، فأخبرتني أن هيثم يذاكر ولن يلعب اليوم، وعليّ أن آتي في وقت لاحق، ولهذا قررت ألا ألعب مع هيثم مرة أخرى، فطريقة كلام والدته أهانتي، ولن أذهب إلى بيتهم مجددًا.

استمعت الأم لكلام مازن، ولم تقاطعه حتى انتهى، ثم قالت : ولدي الحبيب ...أنت بالفعل أخطأت وارتكبت عدة أخطاء ياصغيري، تعجّب مازن من كلام أمه وسأل والدته عن تلك الأخطاء، فأجابت الأم: يامازن للزيارة آداب وسلوكيات يجب ان نلتزم بها، ولا نتعداها، وأنت بفعلتك اليوم تجاهلت كل الآداب ، ولم تلتزم بها.

فسأل مازن: وماهي تلك الآداب ياأمي؟

فقالت الأم: الزيارة لاتأتي فجأة، بل يجب أخذ موعد مسبقًا، حتى يكون الناس باستقبالنا، فطأطأ مازن رأسه دلالة على أنه شعر بخطأه، وأكملت الأم، كما انك يامازن اقتحمت منزل صديقك بلااستئذان، كان يجب عليك أولا أن

تطرق الباب، أو تدق الجرس حتى وإن كان الباب مفتوحًا، فلا تدخل حتى تستأذن ويرد عليك أحد يأذن لك بالدخول، وإن لم يرد عليك أحد فعليك بالذهاب والعودة غلى بيتك.

قال مازن: أنتِ محقّة ياأمي كان عليَّ أن أنتبه لكل هذا.

قالت الأم: لاتنسى يامازن أنك أخطأت عندمت تجوّلت في المكان دو إذن من أهل البيت، فربما وقعت عينك على شيء لايحب أصحاب البيت أن يراه أحد، كما أنّك لم تلقِ التحية على أهل البيت، وهذا مايخالف ديننا الحنيف، فالله تعالى يأمرنا بذلك كما جاء في سورة النور، وقرأت أم مازن على ابنها، قال تعالى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)"، بعد أن انتهت الأم من تلاوة الآيات، قال لها مازن: وقول ربي الحق، وأدرك خطأه والسلوك السيء الذي فعله ،واعتذر لأمه ووعدها ألا يكرر هذا مرة أخرى، وأن يلتزم ب آداب الاستئذان كما أمرنا بها ديننا الحنيف، واستأذن أمه في الاتصال بوالدة هيثم ليعتذر لها، وبالفعل قبلت والدة هيثم الاعتذار ودعته للزيارة ليلعب مع هيثم بعد إنهاء واجباته المدرسية، فرح كثيرا بمعادوة اللعب مع صديقه هيثم ، كما انه تعلّم درسا هامًّا في آداب الاستئذان.

نتعلم من القصة:

- آداب الاستئذان؟
- الموعد المسبق قبل الزيارة.
- طرق الباب ثلاثا.
- عدم دخول البيوت إلّا بإذن أهلها.
- في حالة عدم الإذن يجب المغادرة فورا.

– يجب إلقاء التحية علة أهل البيت بعد السماح بالدخول.
– الجلوس بالمكان الذي يسمح به أهل البيت.
– الأخذ بالنصيحة المفيدة النافعة والالتزام بها.

****

ثانياً: نماذج شعرية(٢)

قصيدة الهرَّة:

هِرَّتي جِدُّ أَليفَهْ وهْي للبيتِ حليفهْ
هي ما لم تتحرَكْ دُمْيةُ البيتِ الظريفة
فإذا جاءَتْ وراحتْ زِيدَ في البيتِ وصِيفه
شغْلها الفارُ: تُتقِّي الرَّ فَّ منه والسَّقيفَهْ
وتقومُ الظهرَ والعصـ رَ بأَورادٍ شريفه
ومن الأَثوابِ لم تمـ لِكْ سوى فروٍ قطيفه
كلما استَوسَخَ، أَو آ وَى البراغيثَ المُطِيفه
غسَلْتُه، وكوَتْه بأَساليبَ لطيفه
وحَّدَتْ ما هو كالحمَّا م والماءِ وظيفه
صَيَّرَتْ ريقتَها الصَّا بونَ، والشاربَ لِيفه
لا تَمُرَّنَّ على العين ولا بالأَنفِ جيفه
وتعوَّدْ أَن تُلاقَى حسَنَ الثوبِ نظيفه
إنما الثوْبُ على الإنسـ ان عُنوانُ الصحيفة

قصيدة الْجَدَّةُ

لي جَدَّةٌ تَرْأَفُ بي أَحنَى عليَّ مِن أَبى
وكلُّ شيءٍ سرَّني تذهب فيه مَذهبي
إن غضِبَ الأَهلُ عليَّ كلُّهم لم تَغضَب
مشى أَبى يومًا إِليَّ مِشيةَ المؤدّبِ

---

[٢] - ديوان الأطفال لأحمد شوقى

غَضبانَ قد هَدَّدَ بالضرْبِ، وإن لم يَضرِبِ
فلم أَجِد لي منهُ غيرَ جَدَّتي من مَهرَبِ
فجعَلتني خلفَها أَنجو بها، وأَخْتبي
وهْيَ تقولُ لأَبي بِلهجة المونِّبِ:
ويحٌ له! ويحٌ لِهـ ذا الولدِ المُعَذَّبِ!
أَلم تكن تصنعُ ما يَصنعُ إذا أَنت صبي؟

قصيدة الْوَطَن

عُصفورتانِ في الحِجا زِ حَلَّتا على فنَن
في خامِلٍ من الرِّيا ضِ، لا نَدٍ، ولا حسَن
بينا هُما تَنتَجِيا نِ سَحَرًا على الغُصُن
مَرَّ على أَيكهِما ريحٌ سَرَى مِنَ اليَمَنْ
حيَّا وقال: دُرَّتا نِ في وِعاءٍ مُمَتَهَن!
لقد رأيتُ حَوْلَ صَنـ عَاءَ، وفي ظلِّ عَدَن
خمائلاً كأَنها بقِيَّةٌ من ذِي يزَن
الحَبُّ فيها سُكَّرٌ والماءُ شُهْدٌ ولبَن
لم يَرها الطَّيْرُ ولم يَسمَعْ بها إلا افتَتَن
هيَّا اركباني نأْتِها في ساعة منَ الزمن
قالتْ له إحداهما والطَّيْرُ مِنهنّ الفطِنْ:
يا ريحُ أَنتَ ابنُ السَّبيـ ل، ما عَرَفْتَ ما السَّكن
هَب جنةَ الخُلدِ اليمن لا شيءَ يَعدِلُ الوطن!

قصيدة الرِّفْقُ بالْحَيَوَان

الحيوانُ خَلْقٌ له عليْكَ حَقٌّ

سَخَّرَه اللهُ لكا وللعِبادِ قَبْلَكا
حَمُولةُ الأَثقالِ ومَرْضِعُ الأَطفالِ
ومُطْعِمُ الجماعةْ وخادِمُ الزِّراعة
مِنْ حقِّهِ أَن يُرْفَقا به وأَلا يُرْهَقا
إِن كَلَّ دَعْهُ يَستَرِحْ وداوِه إِذا جُرِحْ
ولا يَجُعْ في دارِكا أَو يَظْمَ في جِوارِكا
بهيمةٌ مِسكِينُ يشكو فلا يُبينُ
لسانُه مقطوعُ وما له دُموع!

قصيدة الأُمُّ

لولا التُّقى لقلتُ: لم يَخلُقْ سِواكِ الوَلدا!
إِن شِئتِ كان العَيْرَ، أَو إِن شئتِ كان الأَسدا
وإِن تُرِدْ غَيًّا غَوى أَو تَبْغِ رُشْدًا رَشدا
والبيْتُ أَنتِ الصوتُ فيـ ـه، وهْوَ للصَّوتِ صَدى
كالبَبَّغا في قفصٍ: قِيلَ له، فقَلَّدا
وكالقضيبِ اللِّدْنِ: قدْ طاوَع في الشَّكلِ اليَدا
يأْخُذُ ما عَوَّدْتِه والمرءُ ما تعوَّدا!

قصيدة وَلَدُ الْغُرَاب

ومُمهَّد في الوكرِ من ولدِ الغرابِ مُرْقَّقِ
كرُوَيهِبٍ مُتَقلِّسٍ مُتأزِّرٍ، مُتَنطِّقِ
لبسَ الرَّمادَ على سَوا دِ جَناحِه والمَفرِقِ
كالفحْمِ غادرَ في الرَّما دِ بقِيَّةً لم تُحرَق

ثُلثاهُ مِنقارٌ ورأ سٌ، والأَظافِرُ ما بقِي
ضخمُ الدِّماغِ على الخُلُوِّ مِنَ الحِجَى والمنطِقِ
مِنْ أُمِّهِ لقي الصغِ يرُ منَ البَلِيّةِ ما لقِي
جَلبَتْ عليهِ ما تَذو دُ الأُمّهاتُ وتَتَّقي
فُتِنت به، فَتوَهّمَتْ فيه قُوَى لم تخلق
قالت: كبِرْتَ، فثِب كما وثب الكِبارُ، وحلِّق
ورَمَتْ به في الجوِّ، لم تَحرِصْ، ولم تَسْتَوثِق
فَهَوى، فمُزِّق في فِنا ءِ الدارِ شرَّ مُمزَّق
وسَمِعتُ قاقاتٍ تُردَّ دُ في الفضاءِ وترتَقي
ورأَيتُ غِرْبانًا تَفَرَّ قُ في السماءِ وتلتقي
وعرفتُ رَنّةَ أُمِّهِ في الصارِخاتِ النُّعَّقِ
فأَشرْتُ، فالتَفَتَتْ، فقل تُ لها مَقالةَ مُشْفِق:
أَطلقِته؛ ولوِ امتَحن تِ جَناحَه لم تُطلِقي
وكما تَرَفَّقَ والِدَا كِ عليكِ لم تَتَرَفَّقي!

قصيدة النِّيل

النِّيلُ العَذْبُ هو الكوْثرُ والجنةُ شاطئُه الأَخضَرْ
ريَّانُ الصَّفْحَةِ والمنظَر ما أَبهَى الخُلدَ وما أَنضَر!
البحرُ الفَيَّاضُ، القُدْسُ الساقي الناسَ وما غرَسوا
وهو المِنْوالُ لما لبِسوا والمُنْعِمُ بالقطنِ الأَنوَر
جعلَ الإحسانَ له شَرْعَا لم يُخْلِ الواديَ من مَرْعى
فَترَى زرعًا يَتلو زرعا وهُنا يُجنَى، وهُنا يُبْذَر
جارٍ ويُرَى ليس بجارِ لأَناةٍ فيه ووقار
نصَبٌ كتَلٍّ مُنْهارٍ ويَضِجُّ فَتحسَبُه يَزأَر

حَبَشِيُّ اللَّوْنِ كجِيرِته من مَنْبَعِه وبُحيْرَتِه
صَبَغَ الشَّطَّيْنِ بسُمْرَته لوْنًا كالمسكِ وكالعَنبَر
****

أهم المصادر والمراجع

لمن أراد الاستزادة فليرجع إلى تلك المصادر:

أحمد شوقى: الشوقيات "ديوان الأطفال"، ط/ دار الكتب العلمية– بيروت، "د.ت".

أحمد نجيب: أدب الأطفال "علم وفن"، ط/ دار الفكر العربى، بيروت–لبنان (د.ت).

د.عبدالفتاح أبو معال: أدب الأطفال دراسة وتطبيق، ط/ دار الفكر، فلسطين، سنة ٢٠٠٦م.

د.على الحديدى: في أدب الأطفال، ط/ القاهرة–جمهورية مصر العربية، سنة ٢٠١٩م.

د. محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ط/ منشورات كلية الآداب– جامعة القاهرة، (د.ت).

د.نجلاء نصير: أدب الأطفال العرب، ط/ مركز دراسات الوحدة العربية، سنة ٢٠٠٠م.

د. يوسف مازن: أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق، ط/ دار العلم، بيروت–لبنان، سنة ٢٠٠١م.

****

الفهرست

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٣
٢	الفصل الأول: حول أدب الأطفال	٥
	الفصل الثاني: أدب الأطفال الشعبي	٥٨
٣	الفصل الثالث: الخيال في أدب الأطفال	٩١
٥	الفصل الرابع: أدب الأطفال في مصر وأهم أعلامه	١٠٤
٦	الفصل الخامس: نماذج من أدب الأطفال	١٢٣
٧	المصادر والمراجع	١٤٨
٨	الفهرست	١٤٩

انتهت بفضل الله